
شروق الفجر
ابو زيد عامر

إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد كرام
أهدى قصتى " شروق الفجر " تحية
وفاء و محبة وإخاء
[illegible]
٢٢/١١/١٩٦٦

شروق الفجر

تأليف

أبو زيد عامر

المدرس الأول للغه العربيـــة
بالتعليم الثانوى

بسم الله الرحمن الرحيم

« الاهداء »

إلى الذين أعادت الثورة اليهم حقوقهم ، فذاقوا طعم الحياة الحرة الكريمة ، وأصبحوا سادة ارضهم ، بعد أن طغى عليهم الاقطاع ، والهب بالسياط ظهورهم ، واذل بالتحقير آدميتهم ...

إلى الذين رفعت الثورة رءوسهم ، وجعلت لهم نصيبا مفروضا فى ثمرة كدحهم بعد أن ضاعت أناتهم تحت صوت المطرقة ، وبللت دموعهم جراح أيديهم ، وقرّح البؤس مآقيهم ...

إلى الذين عرفت الاشتراكية طريقها إلى قلوبهم فأحبوها ، وملكت عليهم نفوسهم فاعتنقوها ، ووجدا فيها ظل السعادة الوارف ، ومنطق العدالة الصادق ؛ ومنهج الانصاف السوى ...

إلى الذين أحسوا بضيعة الشعب فرفعوه ، ورأوا تسلط الطغيان فحطموه ، . ورسموا طريق المجد وسلكوه ، وحققوا للوطن أنبل الغايات وأعظم المعجزات ؛ إلى أبطال ثورتنا المباركة ...

إلى بطل العروبة ، ورائد القومية العربية ، والقائد المظفر والزعيم المفدى ، السيد الرئيس ﴿ جمال عبد الناصر ﴾ أهدى « شروق الفجر »

المؤلف



الفصل الأول

قصر وأكواخ

فى قرية من قرى محافظة الغربية وعلى شاطىء الترعة الممتدة شمال هذه القرية يقع قصر « لطفى بك » وتحيط بالقصر حديقة واسعة تناثرت فيها أشجار الفاكهة وامتدت فى جنباتها سيقان الكرم وقام فى وسطها برج للحمام وقد وجد فيه الأمن والحب والماء فكثرت فراخه وطار بين الأشجار فرحا بحياة الدعة وطيب العيش وكأن هديله الذى يردده نغمات موسيقية جميلة ولحن حلو ممتع يعبر به عن بهجته وفرحته ، ويحيط بالحديقة سور من الأسلاك الشائكة وخط من أشجار الحور والكافور وقد ارتفعت أغصانها شامخة سامقة فاذا مر بها النسيم سمعت لها حفيفا قد ترضى به حينا وتزور عنه حينا آخر ، وللحديقة باب واسع فى مواجهة القصر يظل مفتوحا طول النهار حتى إذا أقبل الليل أغلق الباب فى إحكام ، وأقبل خليل فى طوله الفارع وشبابه الغض ،وقد امتد شاربه من جانبية كثيفاً وعلق على كتفه الأيسر بندقيته يدور بين أشجار الحديقة فى شىء من الخيلاء ، وكأن حيوية شبابه المتدفقه ، والطلقات الكثيرة التى يحملها ، وإحساسه بأنه القائم على حراسة الحديقة كلها وأنه لذلك لا يجرؤ أحد على أن يقترب من الحديقة ليلا

أقول كأن تلك المعانى كلها قد أباحت له أن يختال بنفسه مزهوا بشبابه وجعلته يمشى فى الأرض مرحا كمن يريد أن يخرقها أو يبلغ الجبال طولا حتى إذا أكمل دورته فى الحديقة وتفقد أشجارها وثمراتها ، جلس بجوار شجرة فيها أو استند الى الباب حيناً من الزمن، ثم يقوم فيستأنف دورانه حول الحديقة، فاذا انهزمت جيوش الظلام ، وفرت فلوله أمام ضوء النهار وانقشعت عند إشراقه الصبح ، فتح « خليل » باب الحديقة ثم ينصرف الى داده ،

اما القصر : فهو بناء شامخ أعده « لطفى بك » ليقيم فيه إقامة دائمة فاذا تركه وذهب إلى طنطا أو القاهرة أوغيرها من المدن لقضاء بعض شئونه فهولايلبث أن يعود إليه ليتمكن من الاشراف الدقيق على الضيعة التى ورثها عن أبيه ومساحتها أربعمائة فدان ، ولقد جمع فى قصره كل وسائل الراحة والمتعة فله آلة خاصة لتوليد الطاقة الكهربية التى تلزم لانارته ، وخزان كبير للمياه يملأ بمضخة رافعة ، ولقد تعددت غرف القصر وكثرت أبهاؤه وفرشت كلها بالأثاث الفاخر والرياش الثمين ويحيط بالقصر حديقه خاصة به مسورة بسور مرتفع من الأسلاك الشائكة وفى تلك الحديقة الصغيرة الخاصة زرعت أروع أنواع الزهور نضارة ، وأنشرها شذى ، وأطيبها عرفًا وأجملها لونا ونقشا . واستكمالا لكل أسباب الراحة أدخل لطفى بك مسرة فى القصر ليتصل بمن يشاء فى أى وقت يشاء

وقد أقامت معه فى القصر زوجه « كريمة هانم » ، وهى فى ريعان شبابها وأجمل مفاتنها، فشعرها الأصفر الجميل الطيع إن شاءت أرسلته خلفها كخيوط دقيقة من ذهب حتى تلامس أطرافه ردفها. وإذا هزت رأسها فى زهو وخيلاء انسابت فيه

تموجات هادئة ساحرة وقد ترسل بعضه متدليا على صدرها وكأنها تريد أن تنعم برؤيته يمس نهدها فى لين ودعة ، وإذا عبثت فيه بأناملها البضة الناضرة وقدر لك أن ترى ذلك إذاً لرأيت صورة من صور الجمال الرائع ولرأيت كيف تزهو الأنثى بجمالها وكيف تدل به

وعيناها الحوراوان ، لله ما أروعهما ، إن فيهما سحراً يأسر القلوب ويستولى

على الألباب وفى صوتها رقة وفى نبراتهـــــا حلاوة وفى جرسها خفة وكأن شوقى كان يعنى صوتها حين قال :

حديثها الشهد إلا أنه نغـم   جرت على فم داود فغناها

وكانت كريمة هانم نحيلة الخصر ممشوقة القد ممتلئة الساقين فى جمال صارخ كأنهما قد صبتا صباً بل لقد جمعتا كل ما فى سيقان النساء من فتنة وحلاوة . .

وقد استغلت كريمة هانم ذلك الجمال فعاملت زوجهـا لطفى بك فى شىء من الصلف الممل والدلال المؤلم ولم يكن هومن جانبه يقوى على مقاومة ذلك الصلف، ولم يكن يستطيع تجاهل ذلك الدلال ، فكانت إشارة كريمة هانم بالنسبة له أمراً مطاعاً ، وكان تلميحها تصريحاً ، والحق أن لطفى بك لم يكن بدعا فى ذلك فله بين الرجال أشباه وأنداد ، فمن الرجال من يضعون قلوبهم بين أصابع زوجاتهـــم ويحنون رءوسهم أمام جمالهن، ولو أنهم قد احتفظوا لأنفسهم بشىء من العزيمة الصادقة والهمة العالية فأشعروا المرأة أنها شىء مهم بالنسبة لهم فى حياتهم ولـكنها ليست كل شىء وأنها الواحة الوارفة فى صحراء أيامهم ولـكنهم لن يهلـكوا إذا افتقدوا

ظلال تلك الواحة، أقول لو أنهم أشعروها بشيء من ذلك،لاستقامت لهم الحياة على نهج أكثر جمالا وأقوم سبيلا .

ويضم القصر « أم على » كبرى الخادمات فيه . وكان عملهن جميعا القيام بخدمة ثروت وجيهان ابنى لطفى بك وكريمة هانم .

وفى الناحية الجنوبية للقصر وعلى مسافة غير بعيدة منه أقيمت مساكن الفلاحين الذين يعملون فى ضيعة لطفى بك وقد بنيت هذه الأكواخ من اللبن ولها سقف منخفضه تكدست فوقها أكوام الحطب وروث الماشيـــة وتناثرت عليها مخازن من الطين لا ترى واحداً منها قد استقامت حوائطه أو اتحدت زواياهوانما هى مائلة متداعية وقد بنتها نساء الضيعة لتضع كل واحدة منهن فيها ما لديها من أذرة وقمح بعد أن يبيع زوجها الكثير منه للتجار الجشعين ليسد ما عليه لصاحب الأرض، وقد امتدت فى نواحى القرية، دروب ضيقة متعرجة قد يضل فيها السالك فى ضحى اليوم المشمس، وأمام كثير من هذه الدور شيد أصحابها المصاطب يتخذون منها مقاعد للراحة وأندية للسمر ومتنفسا لهم من ضيق بيوتهم وفســاد نظامها وخبث الرائحة التى تنبعث من حظائر الماشية فيها. وقد يتخذون منها أحيانا مكانا يستقبلون فيه ضيوفهم، ويقدمون لهم الشاى والقهوة ،فاذا ما انتهى السمر وروّح السمار وقت الصيف ، تحولت تلك المصاطب إلى مضاجع يسكن اليها أصحابها ويقضون بقيه الليل نائمين عليها وقد افترشوا أرضها والتحفوا سماءها وتوسدوا ذرعانهم أو بعضا من ثيابهم المهلهلة ومنهم من يضع غبيط حماره أو بعيره وسادة له . وعند الفجر يستيقظ كل منهم من نومه ويسرع الى المصلى ليؤدى صلاةالصبح وهو فى صلاته يحمد الله ويشكره على ما أنعم عليه من صحة وان كانت عليلة ومن

حياة وان كانت قاسية ومن مال وان كان نذرا يسيرا، والفلاح من أكثر الناس إيمانا بربه وتمسكا بدينه وتوكلا عليه ، إنه من أزهد الناس فى تلك الحيـاة الظالمة لأنه من أشدهم سخطا عليها ، ولو نظر أحد فلاحى القرية إلى الشمال لملأ عينه وسمعه القصر المنيف الذى يقيم فيه لطفى بك ، والحديقة الغناء التى تحيط به ولذهبت نفسه حسرات وسالت عينه دممات وتصاعدت من قلبه زفرات تكاد من حرارتها تحرق القصر ومن فيه !! ولـكن كيف السبيـــــل إلى إحراق القصر وسيف لطفى بك مسلط على رءوس الفلاحين ، وجبروته يقض عليهم مضاجعهم ويؤرق ليلهم ويقرح مآقيهم ، واذاً فما عليهم الا أن يصبروا ورحم الله البارودى حين قال :

صبرت على كره لما قد أصـابنى ومن لم يجد مندوحه فهو صابر

وأما نساء الضيعه زوجات الفلاحين وأمهات أولادهم فلسن أسعـد حالا من أزواجهن ، تصحو الواحدة منهن مبكرة فتصلى فرضها وتستأنف عملها الذى يثقل كاهلها ويكاد يحطم قواها ، إن عليها أن تعد الحطب وتوقد النار قبل أن يعود زوجها من المصلى ليستدفىء بها إن كان الجو بارداً ، وعليها أن تعد له ولأولادها طعام الافطار ثم تسرع إلى حظيرة الماشية لتحلب اللبن ولو أنها كانت تحلبه لتسقيه بينها وزوجها شراباً هنيئاً وغذاء مريئاً أو تطعمهم إياه زبداً طازجا أو قشدة لذيذة لرضيت عن عملها كل الرضا ولـكنها تبيع زبدته وقشدته وجبنه لتشترى بثمنها بعض ما يحتاج إليه أولادها وبيتها من مطالب ملحة وأمور ضرورية فاذا انتهى زوجها وبنوها من إفطارهم ساعدت زوجها فى إخراج الماشية من الحظيرة وفى إعداد ما يحتاج اليه فى عمله من فأس أو محراث أو غيرها ، وكثيراً ما تذهب

معه إلى الحقل تشد أزره فى عمله وتشاركه فيه مشاركة جدية فعالة ، وقبيل الظهر تحمل طعام الغذاء اليه فى الحقل ، ويعلم الله ما تحمل من طعام ، انه خبز جاف يابس وشيء من الجبن أو الخضروات ويتناول الزوج غذاءه وهو راض عن عمله وسعيد بزوجته ، نعم سعيد بزوجته حافية أقدامها ، رثة ثيابها ، وقد خلا وجهها من تلك الأصباغ المرذولة الممقوته التى تضيع فيها سيدة المدينة الكثير من وقتها والكثير من مالها ومال زوجها . بل لعل هذه الزوجة لا تعرف المرآة إلا فى ماء راكد ولا العطر إلا فيما يرشه الندى أو ينبعث من أزهار الفول .

نعم ينظر الفلاح إلى زوجته تلك فيراها طبيعية لا تتصنع شيئا ولا تتكلف أمراً فيعجب بها كل الاعجاب ولسان حاله يقول :

عشقوا الجمال الزائف المجلوبا ∴ وعشقت فيك جمالك الموهوبا

إنه يرى فى ثياب زوجته الرثة ثياب العفة والقناعة . ويراها وهى تكافح معه فى سبيل العيش وتقاسمه متاعب الحياة يراها وهى تضرب أروع الأمثلة فى التضحية ونكران الذات والاهتمام بشئون بيتها وأولادها ، يرى ذلك كله فى زوجته فتقر عينه ويستعيد قواه ويزول عنه ما لقيه ويلقاه من عنت ومشقة وإرهاق فإذا عاد آخر النهار إلى داره وجد زوجة قد أعدت له طعام العشاء فيتناوله وحوله بنوه وكلهم قانعون صابرون ....

تلك صورة عامة لحياة الفلاحين فى ضيعة لطفى بك وانك لترى الواحد منهم قد رضى بحياته أواضطر إلى الرضا بها ولكنه يتطلع الى آفاق بعيدة وينظر الى آماد واسعة وتملأ قلبة آمال عريضة . ولكن تلك الآمال لن ترى النور ولن تخرج الى واقع الحياة الا اذا حدثت معجزة وحتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

الفصل الثانى

ضحيه الطاغية

تلألأت أنوار القصر، وجلس لطفى بك فى شرفـــة الطابق الأول ونادى أم على وطلب منها أن تخرج إلى باب الحديقة وتدعو خليلا الخفير، فأذعنت أم على صاغرة وأسرعت لنداء خليل وقالت :

ـ ياخليل ... ياخليل

ـ نعم يا أم على ... ماذا تريدين ؟

ـ أسرع ياخليل فان سيدى البك يطلبك

ـ لبيك ياأم على

وعادت إلى سيدها وأخبرته أن خليلا قادم فى سرعة وبعد ثوان قليلة استأذن خليل فى الدخول على لطفى بك فأذن له وما كاد يقترب منه حتى حياه بالبندقيـة تحية عسكرية ووقف فى مكانه لايتحرك كأن أقدامه قد سمرت فى الأرض ثم قال:

ـ أفندم سعادة البك

ـ يا ولد ياخليل إذهب الى دار منصور وائتنى به مسرعاً

ـ حاضر يا افندم

ويذهب خليل الى العزبة ينتهب الخطا ثم يطرق باب منصور ولـكنه لا ينتظر

حتى يؤذن له بالدخول فيفتح الباب ويدخل، ويجد منصورا قد جلس مع زوجته ست الدار وابنته سعديه وولده عثمان يتناولون طعام العشاء فيقول له خليل : سعادة البك يريدك الآن

ولم يكد منصور يسمع ذلك حتى ترك أولاده وزوجته وطعامه وخرج مع خليل فقال عثمان لأمه : كنت أود أن يتم والدى عشاءه معنا يا أمى

ـ بعد قليل يحضر أبوك ياعثمان ويتم عشاءه

فقالت سعديه لأخيها : أتريد أن يطردنا سعادة البك من العزبة ياعثمان ؟

وتألم ست الدار لهذا الحوار الذى دار بين ولديها ، ولكنها تكتم غيظها وتقول لهما : بعد قليل سوف يحضر أبوكما

أما منصور فقد استأذن فى الدخول على لطفى بك ولما سمح له تقدم منه ثم قال:

ـ أفندم يا سعادة البك

ـ يا منصور كم فدانا سنزرع قطنا فى صباح الغد ؟

ـ عشرون فدانا فى الحوض البحرى

ـ لابد أن يذهب رجال القرية كلهم غدا لزراعة هذه الأرض وإذا احتاج الأمر فخذ من نساء القرية من تحتاج اليه ويجب ألا تغيب شمس الغد وقد بقى منها شىء وسوف أمر عليكم جميعا وأنتم تزرعون

ـ حاضر يا افندم .

ثم ينصرف منصور من عند لطفى بك ولكنه لايتجه الى داره بل يمر على دور

القرية دارا دارا ويطلب من أصحابها أن يعدوا أنفسهم غـدا لزراعة أرض لطفى بك بالقطن ومن يتخلف منهم (فذنبه على جنبه) .

وبعد ذلك يعود منصور إلى داره فيجد عثمان وسعدية قد استسلما للنوم ، ويجد زوجته ست الدار قد ظلت ساهرة تنتظره حتى تقـدم له عشاءه الذى لم يتم تناوله. وتهم بتقديم العشاء له ولـكنه يقول لها :

ـ لا داعى ياست الدار

ـ ولـكنك لم تتم عشاءك يامنصور

ـ هل تعشى الأولاد ؟

ـ نعم تعشوا

ـ وهل تعشيت أنت؟

ـ لم أكمل عشائى

ـ إذاً فقومى أنت وكلى أما أنا فلم تعد لى الآن رغبة فى الطعام .

ـ ما دمت لن تأكل فأنا كذلك لن آكل .

ـ والله ياست الدار سعادة البك مصمم على زراعـــة العشرين فدانا قطنا ومصر على تجنيد كل القرية لهذا العمل حتى النساء إن احتاج الأمر . ثم سكت قليلا وبدا عليه بعض القلق

ـ مالك يا منصور؟

ـ والله ياست الدار لقد وجدت حسنا بن الشيخ عبد الصبور مريضا وأنا

أخشى اذا لم يذهب غدا لزراعة القطن أن يغضب عليه لطفى بك .

ـ مادام البك سوف يعلم أنه مريض فلن يغضب عليه .

ـ غدا سترين ياست الدار

ثم قال لها هيا بنا لننام وتصبحين على خير يا ست الدار

ـ وأنت من أهل الخير يا منصور . ثم استسلم كل منهما للنوم

وعندما أذن الفجر قام منصور من نومه وهم بالخروج من القاعة التى ينام فيها فى هدوء حتى لايقلق زوجته ، ولكنها أحست به فقامت من نومها عجلة وقالت له:

ـ صباح الخير يا منصور

ـ صباح النور ياست الدار

ـ الى أين ؟

ـ الى المصلى

ولما عاد منصور من الصلاة وجد ست الدار قد أدت صلاتها هى الأخرى وأعدت له طعام الفطور وأدوات القهوة ولم يكد منصور ينتهى من تناول فطوره وشرب قهوته حتى خرج مسرعا ليدور على القرية ويطلب من رجالها وشبابها أن يسرعوا بالذهاب الى الحقل لزراعة القطن .

ولم تكد تشرق الشمس حتى بدأت الزراعة بطريقة الأوتاد وانتشر فلاحو القرية فى الأرض وأخذ بعضهم يغنى بصوت جميل ويرد عليه آخر بصوت جميل أيضا حتى اذا أخذ منهم التعب أسكت ألسنتهم عن الغناء ..

ولما أقبل الظهر اتجهوا إلى شاطىء القناة الصغيرة واستظلوا بالأشجار الممتدة عليه وفرش كل منهم منديله ليلتهم ما فيه من خبز وجبن ثم ليملأ بطنه بعد ذلك من ماء القناة الملوث بالجراثيم الفتاكة القاتلة ثم استأنفوا عملهم فى زراعة القطن . وعند الأصيل امتطى لطفى بك صهوة جواده على سرج أنيق براق وأمسك بيده اللجام وقد تدلت منه قطع فضية لامعة وكلما هز الجواد رأسه سمعت لها رنينا عذب الايقاع . ومشى الجواد بسيده فى زهو وخيلاء وكأنه يرقص طربا وينظر لطفى بك إلى تلك الأرض المنبسطة ذات اليمين وذات اليسار . وكلما أرسل بصره لا يصل إلى مداها وهو يعلم أنها على اتساعها وانبساطها ملك له وحده لايشاركه فيها أحد ؛ ثم ينظر إلى القصر ويذكر من فيه ويقول فى نفسه : ثراء واسع عريض ، وزوجة جميلة فاتنة ، وبنون يملئون القصر بهجة وسرورا ولهم خادماتهم الكثيرات ، وصحة مكتمله ، وجاه وعز ، واتصال وثيق بأولى الأمر وذوى السلطان ؛ فلم لا أكون جبارا فى هذه الأرض ؟ ثم ركل جواده برجله فأسرع به نحو الزارعين .

ولم يكد يراه الفلاحون حتى امتلأت قلوبهم خوفا : بل كادت تبلغ حناجرهم ولم يعد يسمع منهم إلا صوت الأوتاد تحفر الأرض ثم تغطى كل حفرة بعد أن توضع فيها البذور ، ولما اقترب منهم أسرع اليه منصور وأمسك بلجام الجواد وسأله لطفى بك :

— هل تخلف أحد عن الزراعة اليوم يا منصور ؟

نعم يا سعادة البك

— من ؟

ـ حسن بن الشيخ عبد الصبور

ـ ولم ؟

لأنه كان مريضا .

ـ لابد أن يحضر إلى القصر بعد المغرب ولو محمولا

ـ حاضر يا افندم

ثم يتزل لطفى بك عن حصانه ويتجه إلى الزراع يتفقد عملهم ويشبع غروره بتسلطه عليهم وقد وجد صبيا بينهم لم يحسن تغطية البذور فركله بقدمه فى ظهره فأنكفأ الصبى على وجهه ووقع على الأرض وسال منه الدم، وتساقطت دموع الصبى على خديه ولم يجرؤ على تحريك لسانه بكلمة أو بحرف . ولم يكن هذا الصغير إلا عثمان بن منصور .

وتصادف أن مر عثمان فى طريق عودته إلى منزل أبيه أمام حديقة القصر ، وكانت « جيهان » تنتقل فى الحديقة بين أشجارها وتقطف من أزهارها فرأت عثمان وهوسائر بجوار السور فأسرعت إلى باب الحديقةوقالت له : ياولد تعال فأقبل إليها عثمان وهو يرتجف من الخوف وسألته عن آثار الدماء التى على جيب قميصه فلم يتكلم فعاودت سؤاله فلم ينطق، فأخذت جيهان تؤنبه على صمته ودفعته فى صدره دفعة قوية وهى تقول: إمش يا كلب واذهب فى(ستين داهية) أسألك ولاترد على!! يالك من غلام أحمق ، فانصرف عثمان ودموعه تنهمر على خديه من جديد .

وأماسعادة البك فقد ركب جواده وعاد إلى القصر مزهواً بنفسه، مختالا بسطوته . مغروراً بطغيانه .

وبعد المغرب ذهب منصور إلى منزل الشيخ عبد الصبور واستأذن فى الدخول ثم دخل فوجد (حسناً) مستلقيا على القبة فوق قطعة من الحصير وقد اشتدت عليه وطأة المرض لحرارته مرتفعة وفى رأسه دوار شديد ولم تقبل نفسه أن يتناول أى شراب أو طعام وكل ما قدم له من عـلاج أن والده الشيخ عبد الصبور قد أخذ له الشمس بالمنديل والمفتاح ثم ملأ أذنيه بماء أذيب فيه شىء من الملح وصب جزءا منه على ظهره وترقب لولده الشفاء عند الصباح بعد ذلك العلاج إن شاء الله ..

ووقف منصور قلقا صامتاً متضايقاً فقال له الشيخ عبد الصبور :

ـ تفضل واجلس يا منصور .

ـ سلامة لحسن ياشيخ عبد الصبور .

ـ ربنا موجود يا منصور يشفيه ويشفى كل مريض ـ ثم يسكت قليلا ويقول تشرب القهوة أو الشاى يامنصور .

ـ لا داعى لهذا ولا ذاك . أنا جئت إليك فى أمر هام .

ـ خير إن شاء الله يا منصور .

ـ لطفى بك يريد أن يذهب حسن إليه الآن .

ـ ولـكن حسناً كما ترى لا يستطيع الذهاب يامنصور .

ـ إنه مصمم على أن يذهب حسن إلى القصر ولو محمولا .

ـ ولو محمولا !! ولم كل هذا الإصرار من جانب لطفى بك . هل ارتكب ولدى ذنبا ؟ هل اقترف إثما ؟ .

ـ على كل حال ـ لابد من ذهابه يا شيخ عبد الصبور ..

ونادى الشيخ عبد الصبور ولده حسناً فى صوت حزين : -

ياحسن .. ياحسن قم ياولدى واستند على منصور واذهب معه إلى سعادة البك لأنه يطلبك ..

وأذعن حسن لرجاء أبيه وخرج متجها إلى القصر رغم مرضه الشديد وما كاد حسن يخرج حتى استبد التفكير بأبيه وتساءل لماذا يصر سعادة البك على ذهاب حسن الآن وربما علم أنه مريض ؟ علىَّ أن ألحق به بعد قليل ..

ومشى حسن مستنداً على منصور متجهين الى القصر ولما وصلا الى الباب الخارجى دخل منصور واستأذن فى مقابلة لطفى بك فأذن له فقال منصور

ـ يا سعادة البك حسن موجود بباب القصر وهو مريض .

ـ أدخله فوراً يا منصور .

ويدخل حسن ولم يكد يراه لطفى بك حتى ابتدره قائلا :

ـ ما شاء الله يابن الشيخ عبد الصبور ما شاء الله !! انت يا كلب تتأخر عن زراعة القطن اليوم .

ـ لقد كنت مريضاً يا سعادة البك

ـ اخرس يا كلب .. ثم يتقدم نحوه فى غضب وسخط ويصفعه على وجهه ويركله بقدمه فيقع حسن على الأرض . وعندئذ يدخل الشيخ عبد الصبور ويقول :

يا سعادة البك الله يطول عمرك لقد كان حسن مريضاً ولا يحتمل هذا الضرب.

فتزداد ثورة لطفى بك . ويصيح فى غضب قائلا .

أجئت تدافع عن ابنك يا كلب ؟ ثم يصفعه هو الآخر، فتنزل دموع الشيخ على لحيته ولا ينطق بكلمة واحدة ولكنه ينظر الى السماء مرة ثم ينظر إلى الأرض مرة أخرى فيقول لطفى بك: أنا لطفى بك أنا هنا الآمر الناهى، ما آمر به لابد من نفاذه دون تردد مهما كانت الأسباب، ولابد من أن يذهب ابنك حسن غداً إلى الحقل لينفذ أمرى ويشترك فى زراعة القطن ، واذا كان هـذا لايعجبك يا عبد الصبور أنت وحسن ابنك : اتفضلوا اخرجوا من العزبة وروحوا فى (ستين داهية) أفاهم أنت أم لا ؟ ثم يستطرد قائلا أخرج أنت وهو اخرج يا كلب أنت وهو ، وهنا يساعد الشيخ ولده المريض على النهوض من الأرض ويأخـذ بيده ويتجهان إلى باب القصر خارجين ويهم منصور بالخروج بعدهما بقليل ولكن لطفى بك يقول له : يامنصور لابد من أن يذهب الولد حسن هذا غدا ليشترك فى زراعة الأرض الباقية مع غيره من فلاحى العزبة وإذا تأخر فلابد من أن يطرد هو وأبوه من القرية فورا وينصرف منصور وقد أحزنه ما رأى فبكى قلبه وإن تظاهر بموافقة لطفى بك على موقفه وفعله

وعاد حسن مع أبيه إلى دارهما بالعزبة ويكاد كل منهما يتميز من الغيظ واستلقى حسن على قطعـة الحصير مرة أخرى ورأسه تكاد تسقط من الألم الذى يحسه وفكر مرات فى جبروت لطفى بك واستبداده به وبأبيه فكر فى الظلم الفادح الذى لحقـــه وسيلحقه من لطفى بك فـكر فى الاذلال المزرى والتحقير المنكر

والدكتاتورية المستبدة وتلك المعاملة التى عامله بهـــا لطفى بك وعامل أباه أيضا بها .

لأنه مريض وسعادة البك يعلم أنه مريض وشحوب وجهه وضعف صوته واعتذاره لسعادة البك بالمرض. أليس فى ذلك كله ما يبرر تخلفه عن زراعة القطن ؟ أليس لهذا الرجل قلب كقلوب الناس يحس ويشعر ويعطف ؟ ثم ماذا ؟ انه يصر على ذهابى غداً الى الحقل لأشارك فى زراعة القطن !!!

وليست لى مندوحة عن الذهاب فهو رجل عنيد وسوف أذهب مرغما ولو كان فى ذلك موتى وأما الشيخ عبد الصبور فانه أخذ يخفف عن ولده قائلا :

ـ ياحسن الأمر لله يا بنى الأمر لله ، إذهب غدا إلى الحقل ويفعل الله مايريد

ـ سأذهب ياأبى وكفى مالقيناه اليوم من هذا الطاغية .

فبكى الشيخ عبد الصبور ورأى حسن دموع أبيه تسيل على خـــده فقـال له :

ـ ما يبـكيك يا أبى ؟

ـ بـكيت لما نحن فيه ياحسن ، رجل واحد يملك أربعمائة فدان وفى عزبته ستون أسرة لاتملك أى أسرة منها سهما واحداً

ـ لو كان الأمر ملـكية كبيرة له وفقر لنا لخسب خفت الوطأة بعض الشىء يا أبى ولـكنها مرارة الظـلم التى تتجرعها كل يوم على يديه . اننـــا فى نظـره كالماشية . بل انه قد يعطف على ما شيته لأنها ملـكه أما نحن ففى استطاعته أن يطردنا من العزبة فى أى ساعة من ليل أو نهـــار وعندئذ سوف تدفعنا الحاجة

وقسوة الأقدار الى ظالم آخر نعمل فى عزبته فنكون قد طردنا طاغية ليستولى علينا طاغيه آخر ...

ـ يارب انه ليل قد طال ، أما لهذا الليل من آخر ؟ يارب ان الكيل قد طفح وان صبرنا على الظلم قد نفد أما لهذا الظلم من من نهاية ؟ يارب إننا نفر من عبادك فلا تتركنا ثم يعلو نحيب الشيخ ويزداد بكاؤه فيزداد تبعًا لذلك بكاء ولده حسن وبعد لحظة يقول الشيخ لولده : اذهب يا بنى غدا إلى الحقل فلا حيلة لنا ولا سبيل الى العصيان اذهب لزراعة القطن وأمرنا لله

وهنا يدخل منصور فيرى ذلك المنظر المؤلم فيجلس صامتًا حزينًا فيقول له الشيخ :

ـ جئت تؤكد على حسن ضرورة الذهاب الى الحقل غـــدا يا منصور . أليس كذلك ؟

فلا يرد منصور .

ـ يا منصور ـ أنك عبد الآمر كما يقولون ولا ذنب لك وسوف يذهب حسن إن شاء الله .

وهنا يقول منصور : صبراً يا شيخ عبد الصبور فان بعد العسر يسراً ولكل ضيق فرج ، ولكل كرب مخرج ثم يستأذن وينصرف

ويستلقى الشيخ على القبة بجوار ولده فوق قطعة الحصير حتى إذا أشرق الصبح تحمل حسن مشقة السروح وأخذ يزرع القطن تنفيذا لأمر سعادة البك . وذهب منصور إلى الحقل ورأى حسنًا وقد اشتد به المرض ولكنه نفذ الامر وصدع به

وأخذ يزرع ، فعاد الى القصر وأخبر سعادة البك بأن حسناً فى الحقل يزرع مع بقية الزراع ....

وقبيل الغروب اشتدت وطأة المرض على حسن ووقع مغشياً عليه فحمل إلى دار أبيه وهو فى غيبوبة تامةواستقبله أبوه جزعاً كل الجزع مضطربا أشد الاضطراب. ومضت أيام قلائل ومرض حسن يشتد والعـــلة تلح عليه حتى أحالته إلى (صفرة الجادىّ عن حمرة الورد) كما قال ابن الرومى ... وفى فجر يوم من الأيام استيقظ أهل العزبة على صراخ وبـكاء وعويل ينبعث من دار الشيخ عبد الصبور فأسرع الـكثير منهم نحو الدار ليعرفوا حقيقـة الأمر ولـكنهم وقفـــوا واجمين من شدة الفاجعة ووقع المصاب فقد أسلم حسن روحه إلى ربه !! .

خرج أهل العزبة جميعا يشيعون حسنا إلى مثواه ... خرجوا رجالا ونساء يحسون بالألم الممض والحزن المقيم، النساء صارخات نادبات باكيـات ، والرجال فى ذهول من هول الفـاجعة وفداحة المصاب وكأن المصيبة قد عقـدت ألسنتهم فلا ينطقون ، وجمـــدت لها دموعهم فلا يبـكون ولايسمع منهم إلا زفرات تكاد لحرارتها تلسع الأجساد وتفتت الأكباد ...

وحمل الفلاحون النعش على منـاكبهم يمشون به الهوينى وهو فى كل خطوة يخطوها يصب اللعنات على ذلك الظالم المستبد والطاغية العنيد ... ومشى الشيخ عبد الصبور فى جنازة ولده لا تقوى قـدماه على حمله ودموعه تنهمر من عينيه وقلبـه يذوب حسرة وحزنا ، وألما وغيظا حتى إذا وورى حسن التراب وقف الشيخ على قبر ولده يقول : أى بنى رحمك الله ياولدى وعوضنى فيك خـيراً .

افتقدتك وأنت فى ربيع عمرك وريعان شبابك . افتقدتك وأنا أحوج ما أكون إليك .

أى بنى : دفنوك فدفنت آمالى بجوارك ووسدوك التراب فوسدت بعدك الحزن والبكاء والشقاء

أى بنى : هنا سترقد وحيداً فى قبرك ، وهناك سيرقد أبوك وحيداً فى سجنه

ياحسن : لا يملك أبوك المحزون الا أن يردد قول الله :

(إن ربك لبالمرصاد) .

ثم انصرف المشيعون وذهبوا مع الشيخ يواسونه ويخففون عنه خطبه .

ولكن رجلا واحدا هو الذى استبد به غروره وأخذته العزة بالاثم فلم يفكر فى مواساة الشيخ ولو بكلمة واحدة ؛ وكأن موت حسن لايهمه فى شىء . بل ولا يشغله حتى عن أتفه أمر من أموره وأحقر شأن من شئونه ! ! !

إنه .... لطفى بك .....

الفصل الثالث

غرور ومجون

شب ثروت عن الطوق وأنهى دراسته فى المرحلة الابتدائية ثم أدخله أبوه لطفى بك المدرسة الثانوية فى طنطا وألحقه بالقسم الداخلى بها وكان يعطيه من النقود ما يطلب ، وكانت والدته كريمة هانم تعطى ولدها من النقود فوق ما يعطيه له أبوه ، ونظر ثروت فاذا النقود يفيض بها جيبه وتمتلىء بها يداه وكان كل ما حوله من مظاهر يوحى بأنه من أولاد الذوات ومن أبناء هذه الطبقة التى يولد كل مولود منها وفى فمه ملعقة من ذهب بينما لا يجد غيره من أولاد المستعبدين الفقراء ملعقة من خشب . نعم لقد كان ثروت من أبناء الطبقة الرأسمالية المستغلة ومن أبناء الاقطاعيين المستبدين .

وكان إذا دخل باب المدرسة وقف له الخدم يحيونه ويلقبونه بثروت بك وإذا دخل الفصل التف حوله بعض زملائه من الذين تغريهم تلك المظاهر ويندفعون خلفها وان لم يكونوا من أهلها ، فيفسد ذلك عليهم طبيعتهم ،ويصرفهم عن فهم قدرهم وأداء واجبهم فتمضى بهم الأيام وهم حيرى لا يعرفون الى أى طبقة ينتسبون واذا حاول أحد المدرسين أن ينبه ثروت الى أداء واجبه نظر اليه ثروت فى شىء من الصلف والغرور وهو يتصور أن بريق الذهب عند أبيه أشد لمعانا من أى تفوق علمى أو أى سبق أدبى أو امتياز خلقى . بل ان رنين ذلك الذهب أقوى

صدى فى أذنية من صوت مدرسى وزارة المعارف جميعاً . . . . واذاً فلا عليه إن أعرض عن المدرسين، ولا عليه ان أهمل واجبهم ' ولا عليه ان ترك الفصل وخرج فى أى وقت يشاء دون أن يستأذن من المدرس بل دون أن يعيره أى اهتمام . .

ان الحياة أمامة وبين يدية ومن خلفة مفروشة بالرياحين معطرة بالياسمين فليشبع نفسة استمتاعاً بها واقبالا على ملذاتها وليطرق كل باب من ابواب نعيمها وليكن بعد ذلك ما يكون . . . .

لماذا يقبل على التعليم ؟ لكى يتوظف ويتقاضى خمسة عشر جنيها فى الشهر !! إنها لا تكفى راتباً لبعض الخدم عند أبيه بل إنها لا تكفى لعلف فرس من خيل والده . ولكن المهم عند ثروت أن يقضى بعض وقتة فى المدرسة حتى يقال إنه يتعلم واذا نجح آخر العام فقد وفق واذا أخفق فلا ضير عليه ولا تثريب فهو لم يدخل المدرسة لينجح وانما دخلها للتسلية وشغل بعض أوقات الفراغ - ان كان فى حياة العابثين واللاهيين فراغ .

وذات يوم دخل مدرس اللغة العربية الفصل وأخذ يهيء أذهان طلابه لدرس المطالعة الذى أعده . ثم طلب منهم إخراج كتب المطالعة فأخرج بعضهم الكتب ولكن ثروت وبعض المشايعين له لم يخرجوها فسأله المدرس . أين كتابك ياثروت ؟ فلم يرد عليه فأعاد عليه السؤال . فرد عليه ثروت وكلماتة تترنح على شفتية فى غير مبالاة قائلا - غير موجود فقال المدرس ولماذا لم تحضره وانت تعلم أن درسنا مطالعة ؟ فلم يطق ثروت هذه الاسئلة وقام من مكانة متجها الى باب الفصل وأشار إلى بطانته بأن تتبعة فاستوقفة المدرس قائلا له : إلى اين ؟ فلم يرد عليه وترك الفصل وخلفة شيعتة . وقبل أن يخرج قال له المدرس : سأبلغ هذا الى

ناظر المدرسة. فضحك ثروت ضحكة ملؤها السخرية والاستهزاء وقال له : افعل ماشئت ثم ترك الفصل . وذهب هو ومن معه إلى نادى المدرسة فجلسوا فيه بعض الوقت حتى انتهت الحصة . . . .

وكتب مدرس اللغة العربية تقريرا عما حدث وقدمه إلى ناظر المدرسة ليتخذ فيه مايراه من عقاب رادع لثروت وأمثاله من المستهترين العابثين بنظم المدرسة وقداسة العلم . . . وفى صباح اليوم التالى استدعى ناظر المدرسة ثروت وصحبه ليسألهم عما حدث منهم وبدأ بثروت :

ـ ماالذى حدث منكم أمس ياثروت ؟

ـ أمس !! متى ؟

ـ فى درس المطالعة .

ـ أوه . . . تذكرت ـ لاشىء .

ـ كيف ذلك وأستاذ اللغة العربية كتب عنكم تقريراً لا يشرفكم وينسب لكم فيه العبث بالنظام والخروج على آداب الدراسة وذكر أنكم لم تحضروا كتب المطالعة.

ـ كنا متعبين والأستاذ متضايق من غير سبب وأنت تعرف أن درس المطالعة غير مهم فنحن قلنا الأفضل أن نخرج ونقعد فى نادى المدرسة إلى ان ينتهى الدرس

ـ طبعا هذا تصرف غير لائق منكم وأنا أرى أن يعتذر ثروت لأستاذ اللغة العربية عما حدث منه وأنتم تعتذرون له جميعا وأرجو أن يقبل اعتذاركم ولن أسمح لكم بدخول الفصل إلا بعد الاعتذار .

ـ ما هذا ياحضرة الناظر؟ ثروت يعتذر للمدرس، ماشاءالله ؛ هذا مستحيل ولو انطبقت السماء على الأرض : ثروت بن لطفى بك يعتذر للمدرس هذاقلب للأوضاع هذه إهانة لا أقبلها مطلقا وسوف أتصل بوالدى تليفونيا فورا لأطلعه على سوء معاملة إدارة المدرسة لى وعلى اضطهاد مدرس اللغة العربية ثم يترك الحجرة وينصرف خارج المدرسة ويطلب والده بالتليفون .

ـ ألو ـ ماما ؟

ـ نعم .

ـ أنا ثروت ياماما . أين بابا ؟

ـ بابا فى الحديقة يا ثروت . ماذا حدث ؟

ـ أنا أريد بابا حالا على التليفون. فنادت كريمة هانم كبرى خادماتها قائلة :

ـ أم على . أم على

ـ أفندم ياست هانم .

ـ بسرعة اطلبى خليلا الخفير .

ـ حاضر ياست هانم

يدخل خليل فى سرعة : ـ افندم ياست هانم .

ـ يا خليل . ناد سعادة البك من الحديقة . وقل له إن ثروت بك على التليفون . بسرعة ياخليل .

ـ حاضر يا افندم . ويسرع خليل إلى الحديقة

الأم — ايه الحكاية ياثروت .

— تصورى ياماما مدرس اللغة العربية أهانني والناظر قد انضم اليه ووجه الى أفظع إهانة مرت بى فى حياتى ياماما .

— اخبرنى . ماذا حدث تماماً ؟

وهنا يدخل لطفى بك ويمسك سماعة التليفون :

— ألو ثروت ـ ماذا ؟

— يا بابا . الناظر هزأنى وأهانني إهانة لا أقبلها مطلقاً .

— ماذا حدث ؟

— مدرس اللغة العربية طردنى من الفصل بدون أى ذنب وطبعا خرجت من غير أن أحدث أقل اساءة وكتب يشكونى للناظر . تصور أنه طلب منى أن اعتذر للمدرس .

— ماشاء الله ، ثروت بن لطفى بك يعتذر لمدرس . هذا معناه ان الدنيا انقلبت رأسا على عقب ومعناه أن الناظر والمدرس لا يفهمان مكانتهما بالنسبة لك وطبعا أنت لم تعتذر، طبعًا يا بابا، رفضت هذا وتركت المدرسة لأتصل بك فوراً .

— عملت خيرا وأنا سأرسل لك السيارة فوراً لتعود فيها الى العزبة وسوف اتخذ اجراءاتى .

ثم يتصل لطفى بك بوزارة المعارف تليفونيًا .

— ألو ، مكتب معالى الوزير

ـ نعم .

ـ أعطنى الوزير من فضلك .

ـ تقول لمعاليه من المتكلم يا افندم .

ـ يا أخى سؤالك سخيف قل له لطفى بك الدلنجاوى .

حاضر ياسعادة البك

ألو معالى الوزير !

ـ نعم

ـ أنا لطفى الدلنجاوى

ـ أهلا لطفى بك أزى صحتك ؟ أين انت يارجل ؟ وكيف حال العزبة وأخبار الزراعة ، وازى الفراخ الرومى .

ـ كل شىء تحت أمرك يا معالى الباشا .

ـ إن شاء الله نريد أن نزورك فى العزبة قريبا .

ـ يا ألف مرحبة يا معالى الباشا العزبة وصاحب العزبة وجميع رجال العزبة تحت أمر معالى الباشا الوزير .

ـ أمرك يا لطفى بك ؟

ـ يا سيدى . ناظر مدرسة طنطا الثانوية أهان ثروت ابنى إهانة لا يمكن معاليك تعفو عنها مطلقا .

ـ كيف حدث ذلك ؟

ـ مدرس اللغة العربية طرد ثروت من الفصل بدون أى ذنب وكتب فيه تقريراً لحضرة الناظر . تصور إن الناظر المحترم بناء على كلام المدرس وطبعا لاشك أنه كاذب فى كلامه ؛ تصور يطلب من ثروت أن يعتذر للمدرس .

ـ وبعد ذلك ماذا حدث ؟

ـ طبعا رفض ثروت الاعتذار للمدرس لأنها كانت تكون مصيبه لو اعتذر له وما كنت اعتبره ابنى مطلقا ثم اتصل بى بالتلفون وأخبرنى بما حدث فأرسلت له السيارة وأحضرته إلى العزبة .

ـ فعلت خيراً وعلى كل حال يا لطفى بك اترك لى المسأله وأنا سوف أتخذ فيها ما يرضيك .

ـ يا معالى الوزير أنا لا أرضى إلا بنقل هذا الناظر إلى أقاصى الصعيد ونقل هذا المدرس إلى أقصى مدرسة ابتدائية عند الحدود الجنوبيه، أرجوك ان تجعل من هذين الرجلين عبرة لغيرهما من كل من تسول له نفسه أن يمس كرامة أبنائنا نحن الطبقة العليا فى البلاد إن ذهاب أبنائنا إلى المدارس المصرية تشريف لها وكان من الممكن أن أرسل ثروت ليتعلم فى أى بلد أوربى ، ولكننى قلت نتنازل ونجلسه بجوار أولاد الناس العاديين فى المدرسة ، وتكون النتيجة أن يهان بهذا الشكل ! !

ـ اطمئن يا لطفى بك . سترى ذلك كله فى فرصة أقرب مما تتصور .

وفى صباح اليوم التالى وصل إلى المدرسة برقية فيها قرار من وزير المعارف بنقل الناظر الى مدرسة قنا الثانوية ونقل المدرس الى مدرسة ابتدائية فى قرية من قرى قنا وتلقى الناظر البرقية وفيها نقله وفكر فى أسباب ذلك النقل المفاجىء

ولكنه لم يجد سببا اللهم الا أن تكون مسألة ثروت بن لطفى بك هى السبب فكتب الى معالى وزير المعارف الرسالة التالية :

معـــالى الوزير :

تسلمت برقية معاليكم اليوم (الثلاثاء) وفيها أمركم بنقلى الى مدرسة قنا الثانوية وان واجبي كموظف أن أستجيب لهذا الامر فأنفذه فور وصوله الى . ولكننى ساءلت نفسى عن السبب فلم أجد الا مسألة ربما تكون قد بلغت معاليكم محرفة بعض التحريف وهى تتعلق بالطالب ثروت لطفى الدلنجاوى واذا كان لى أن أضع بعض النقط على الحروف كما يقولون فانى أقرر أن ثروت لطخ كرامة العلم وداس كرامة المدرسة وحطم كرامة المعلم ونظر الى المدرسة ومن فيها جميعها كأنهم يعملون فى ضيعة أبيه ولن أشغل وقت معاليكم فأدخل فى التفاصيل ولكننى اكتفى بذلك فان أصررتم على تنفيذ أمر النقل بعد علمكم بالصورة العامة لما فعله ثروت فانه يسعدنى جدا أن أن أقدم استقالتى من عملى مؤمنا بأن من لا كرامة عنده لا خير فيه .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

ولم يكن مدرس اللغة العربية أقل من ناظر المدرسة اعتزازا بمهنته ، واعتزازا بكرامته ، وتقديساً لعلمه وعمله فكتب الى معالى الوزير :

يا صاحب المعالى :

تسلمت أمركم بنقلى مدرساً ابتدائيا فى احدى المدارس الابتدائية بمديرية قنا ولا شك أن كل امرىء يحب عمله ويؤمن برسالته يستطيع اداءها فى أى ناحية تتصل

بفنه وعلمه واذا كان أمر النقل مبنيا على ما حدث من ثروت لطفى الدلنجاوى معى فى الفصل فأنا أقرر أننى لا أقبل النقل فى مثل هذا الظرف فى قبوله اهانة لنفسى ولن أرضى لنفسى أن تهان ويسعدنى أن أقـدم استقالتى من عملى فمن هانت عليه نفسه كانت أهون على الناس .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

وصلت الرسالتان إلى معالى الوزير وفى كل منهـا استقاله صاحبها من العمل فقبل الاستقالة فورا وأمر بابلاغ الناظر والمدرس ذلك القرار .

ولمـا بلغهما أمر قبول استقالتهما ، رضيت نفسهما بذلك وارتاح ضميرهما وبحثـا عن عمل فى المدارس الخاصة ووجد كل منهما مايبتغيه ، واستقامت لهما أمور الحياة المادية إلى حد كبير . . .

دق جرس التليفون فى منزل لطفى بك وكان المتحدث معالى الوزير .

ـ ألو لطفى بك ـ صباح الخير .

ـ أهلا . أهلا معـــالى الباشا الوزير يا صباح النور . كيف صحــــة معاليكم ، ان شاء الله يكون كل شىء على مايرام يا معالى الباشا .

ـ كيف انت أولا يالطفى بك وكيف حال كريمة هانم .

ـ أنها تريد أن تكلم معاليك .

ـ أهلا وسهلا .

ـ (كريمة هانم) صباح الخير يا معالى الباشا .

ـ صباح الخير يا كريمه هانم طبعا أنت ولطفى بك فى غاية الصحة والمتعة والسرور .

ـ فيه مانع عند معاليك أنك تشرفنا فى العزبة يوم الجمعة القادم ؟ .

ـ لا مانع لدى .

ـ أهلا وسهلا ونحن فى انتظار معاليك .

ـ يا كريمه هانم ، مسألة ثروت انتهت رفض الناظر والمدرس النقل فقبلنا استقالتهما ، وكل هذا ترضية لثروت ونحن عندنا كام ثروت يا كريمه هانم !!

ـ أشكرك يامعالى الباشا لطفى يريد أن يشكر معاليك .

ـ (لطفى بك) يا معالى الباشا ، ألف شكر والله لقـــد فعلت خيراً حينما قبلت استقالتهما لأنهما أساءا إلى التعليم إساءة بالغة فالحمد لله ، وألف شكر ونحن ياسيدى منتظرين تشريف معاليكم يوم الجمعة

ـ ان شاء الله .

وعاد ثروت الى المدرسة يوم السبت التالى لقبول استقالة الناظر والمدرس ودخل المدرسة وقد انتفخت أوداجه ومشى يتمايل طرباً بجبروته وجبروت والده وخيل اليه أن كل شيء فى المدرسة حتى حيطانها تقول له : لقد انتصرت يا ثروت بك ألم يجبر مدرس اللغة العربية على ترك المدرسة لأنه سأل ثروت عن كتاب المطالعة ؟ ألم يخرج ناظر المدرسة منها لأنه طلب من ثروت أن يعتذر للمدرس ؟ ومن فى المدرسة بعد ذلك يهتم به ثروت ؟ أنه الطلبة جميعـــا . أنه المدرسون والناظر وكل شيء فى المدرسة الآن ! .

ومضت أيام العام الدراسى بثروت على هـذا المنوال ، انصراف عن الدراسة وترفـع عن المدرسين وازدراء للتعليم ، وتفنن فى العبث والاستهتار ، وتزعم فاسد لمن هم على شاكلته من تلاميذ المدرسة حتى جاء اختبار آخر العام ، وصمم ثروت على دخول الاختبار ، وفكر وقدر، ثم قرر أنه لابد أن ينجح مهما كلفه ذلك وجاء اليوم الأول من أيام الاختبـار ودخل ثروت وقد وضـع أوراق بعض الكتب فى جيبه ليستعين بها على الاجابة ودق الجرس ووزعت الاسئلة وأخذ ثروت فى قراءتها فخيل أليه انها طلاسم وكأنها كتبت بلغة لايعرف من حروفها شيئا فأعاد قراءتها فلم يجد لنفسه منفذا للاجابة ولـكنه لم يهتم لذلك فقد وضع يده فى جيبه فى جرأة وعدم مبالاة واخرج بعض الأوراق واخذ يقرأ فيها وهنا أسرع اليه مراقب الاختبار وأخذ الورق منه فى شىء من الضيق والغيظ فنظر اليه ثروت نظرة ملؤها التهديد والوعيد ثم أخرج ورقة ثانية فـكان نصيبها نصيب سابقتها وهنا طلب المراقب منه إخراج كل ما معه من أوراق فأخرجها ثروت مرغما ثم أخذها المراقب وحفظها معه وظـل ثروت حائراً لا يدرى ماذا يفعل ولا كيف يبدأ إجابته حتى اذا انتهى الوقت أخذ المراقب منه الورقة ولسان حاله يقول له :

فـرطت وقت الزرع . فليس لك نصيب فى الحصـــــاد ، وزرعت الشوك والـكراهية فى قلوب كثير ممن فى المدرسة فليمزق الشوك الآن جسمك وليسل منه دمك فانها عدالة السماء ومنطق الحياة وعاقبة العبث والمجون ، ولما انتهى ثروت من اختبار اليوم الأول أخذ يفكر فى طريقة يحقق بها النجاح لنفسه فيما بقى من الأيام وعرف أن الذى طبع أسئلة الاختبار فى كثير من المواد هو (عسكر) رئيس الخدم بالمدرسة فذهب اليه فى منزله وقال له :

ـ ياعسكر ، إنك تعلم أننى أريد النجاح لاطلبا لوظيفة ، وإنما ليقول الناس أن ثروت قد نجح وأنا أعلم أنك أنت الذى طبعت الأسئلة وأريد الحصول عليها بأى ثمن ، وهنا أخرج ثروت من جيبه خمسين جنيها وألقى بها فى حجر عسكر ، فنظر عسكر إلى الجنيهات وقد ألقيت فى حجره، نظر إليها فى شيء من الاشمئزاز والانكار فظن ثروت أنه استنكر ضآلة المبلغ فجعلهـــا مائة جنية،فأمسك عسكر النقود فى يده ووضعها فى جيب ثروت وقال له فى إباء وترفع :

ـ ياثروت بك : احفظ نقودك لنفسك ودعنا نحصل قوتنا بعرقنا ولتعلم أن الـكسرة الجافة فى شرف وكرامة خير من أشهى أنواع الطعام فى ذلة ومهانة وأن طمرا يستر الجسد فى عفة ومروءة خير من لبس الدمقس فى ضعة وحقارة وليس المال فى حياة الانسان كل شيء فقام ثروت ولأول مرة تحس نفسه بالاهانة ويشعر بشيء من الخجل …

ولم يجد مندوحة عن اتمام الاختبار حتى اذا انتهى منه أرسلت له سيارة والده ثم ركبها وطلب من السائق ، أن ينهب بها الأرض حتى يستريح فى العزبة من عناء الاختبار وكثرة الاستذكار وحتى يرى والديه وهما يستقبلانه كأحسن ما يـكون الاستقبال . .

ومضت الأيام الأولى فى العزبة وثروت يحـاول أن ينسى النتيجة التى يترقبها للاختبار وذات صباح دق جرس التليفون فى منزل لطفى بك :

ـ آلو ـ الست والدة ثروت ،

ـ مين حضرتك ؟

ـ أنا زميل ثروت فى المدرسة

ـ هل لديك أخبار عن نتيجة الاختبار ؟

ـ نعم .

ـ خير أن شاء الله .

ـ والله للأسف ثروت رسب فى معظم المواد

ـ ذلك غير مهم ـ مع السلامة .

ودخل ثروت على والدته فوجدها عابسة بعض الشىء فسألها :

ـ ما الذى حدث يا أماه ؟

ـ لاشىء يا ثروت .

ـ بالله أخبرينى ، ما الذى حدث ؟

ـ اتصل بك أحد زملائك بالمدرسة ليخبرك عن نتيجة الامتحان ،

ـ لابد أننى رسبت

ـ رسبت يا ثروت ـ صحيح أننى كنت أريد أن تنجح وكنت أتمنى لك ذلك ولكن مادمت لم تصل إلى النجاح فأرجو ألا تضايق نفسك مطلقا ولا تفكر فى أى شىء وأن مثلك من أولاد الذوات ياعزيزى لا يهمه الرسوب فى قليل أو كثير .

هذه مائة وخمسون جنيها خذها وسافر إلى الاسكندرية وأقم هناك فى (فيلتنا فى ميامى) ومتع نفسك كما تشاء وإذا احتجت أى نقود فاتصل بى تلبفونيا.

ـ ووالدى يا أماه ربما يغضب منى .

ـ والدك سوف أخبره أنه لاداعى لضيقة منك أو غضبه عليك .

ـ البركة فيك ياماما .

ثم أخذ ثروت المبلغ وقاد السائق السيارة ليوصله إلى الفيلا الأنيقة المطلة على شاطىء ميامى بالاسكندرية وليستمتع بشبابه ونقوده ، وليشبع طيشه واستهتاره وعبثه ومجونه ...

أما لطفى بك فانه أقبل من الحديقة ودخل القصر بعد قليل وسأل زوجه عن ثروت وأين هو فقالت له : لقد أخذ السيارة والسائق وذهب إلى الاسكندرية لكى يستريح بعض الأيام من عناء الاستذكار والجهد المضنى الذى بذله .

ـ اللهم اجعل العاقبة خيرا وينجح .

ـ وإذا لم ينجح . فماذا يكون ؟

ـ طبعا لاشىء . لكن الأحسن أن ينجح .

ـ لقد ظهرت النتيجة ولم ينجح .

ـ لايهم ذلك فى شىء وإنما تهمنى صحته وراحته أكثر من أى شىء آخر .

❋ ❋ ❋

فشل ثروت فى دراستة، وتهامس فلاحو العزبة بهذا الفشل ، وامتلأت نفوسهم سرورا له ، وفرحا به ، ورضا عنه ، ولم لا يسرون له ولم لا يفرحون به ؟ أن فى

ذلك الفشل انتقام السماء للمظلومين . ان فيه نوعا من القصاص لحسن بن الشيخ عبد الصبور ومن يدرى ؟ فلعل الغيب يخفى وراء حجبه معجزة تقوض الظلم من أساسه ، وتحطم صرحه على رءوس الطاغين ...

وكان لطفى بك يساهم بنصيب كبير فى رأس مال (الشركه العامة لاستيراد الشاى وتعبئته) ، ولهذه الشركة مدير عام يتقاضى مائتى جنيه شهريا ، فما الذى يمنع أن يكون ثروت نائبا للمدير العام لهذه الشركه ؟ وكان ما أراده لطفى بك وأصبح ثروت نائبا للمدير يتقاضى مائة وخمسين جنيها راتبا شهريا ...

ولم يكن لثروت عمل بالشركة إلا أن يذهب إلى مكتبة الأنيق الفخم وعن يساره تليفونان ووضع أمامه فوق المكتب المحابر الذهبية وبجانبها أقلام من ذهب كذلك . وفرشت أرض المكتب بالبسط الثمينة النادرة وعلقت على جدرانة بعض اللوحات التى استوردت له من أوربا حتى يخيل الى من تسعده الاقدار بدخول مكتب نائب المدير يخيل اليه أنه دخل غرفة من غرف الجنة ، وجلس على باب المكتب ساعيان يلبس كل منهما حلة صفراء ذات أزرار لامعة ، أحدهما لا عمل له إلا تقديم القهوة لنائب المدير والآخر لتلبية ما يشير به ...

ويأتى نائب المدير إلى مكتبه فى أى ساعة يختارها من ساعات النهار راكبا سيارته « الكاديلاك » الفاخرة ، ثم يتناول بعض أقداح القهوة أو الشاى وفى فمه « السيجار » ويقبل اليه المدير العام فيجلس معه فى مكتبه بعض الوقت ! !

أليس نائب المدير ابن لطفى بك الدلنجاوى أكبر المساهمين فى رأس مال الشركه ؟ واذاً فليذهب المدير إلى مكتب نائبه حتى يضمن رضاء لطفى بك وموافقته على استمرار عمله مديرا عاما للشركه ...

وذات يوم اتصل ثروت بك تلفيونيا بصديقة عزت وقد جمعت بينهما صفة التعطل بالوراثة ، ووحدت اتجاهها فى الحياة ونظرتها إلى المجتمع وهدفهما من العيش . اتصل ثروت بعزت ودار بينهما الحديث التالى .

ـ آلو ـ عزت بك .

ـ آلو ـ ثروت بك .

ـ اسمع يا عزت أين سهرتنا الليلة ؟

ـ السهرات كثيرة وعلى كل لون .

ـ سهرة أمس لم تعجبنى كثيرا .

ـ لماذا ؟

ـ لأن . . . .

ـ أنا عارف دون أن تكمل، ياسيدى برنامج الليله كما يأتى أولا جلسة فى البار المعهود لنشرب مانحب، ثم نذهب الى مسرح .. لنقضى فيه بعض الوقت، ثم نخرج إلى حيث ينتظرنا الصيد الثمين ونقضى معه بقية الليل فى خمر ولهو ومجون وعبث .

ـ ليس فى البرنامج شىء عن مائدة .

ـ القمار طبعا ، تؤجل ، تؤجل مائدة القمار هذه الليلة ياأخى .

ـ لا ياصاحبى . أنت عارف لازم نلعب كل ليلة ولو ساعة على الأقل .

ـ لا تغضب ياثروت بك تخصص ساعة من بقية الليل للعب القمار .

ـ تسلم ياحبوب . ويجب أن تصحح العبارة الأخيرة فى البرنامج كما يأتى : ـ

نقضى بقية الليل فى خمر ولهو وقمار واستهتار ومجون وعبث وكل ذلك مع الصيد الثمين .

ـ كما تشاء ياثروت بك .

ـ أنت عارف ياعزت بك الفلوس لاتحصى وخزانة بابا تكدست فيها مئات الألوف من الجنيهـــات وأرباح الشركة كثيرة جـــدا ، وانت عارف بيع الشاى فى السوق السوداء . وهذا هو الاسود الذى يدر « الذهب الاصفر » كما يقولون . . .

ثم يقضى ثروت مع عزت ليلة حمراء ومعهما نفر من المتعطلين بالوراثة ومع الجميع بعض من بنات الليل كما يطلق عليهن ، ثم تمضى الايام بثروت بيضـــا مشرقة وتمضى الليالى حمراء صاخبة ، وذات يوم يدخل عليه مدير الشركة وفى وجهه شىء من العبوس وفى نفسه بعض الضيق فيسأله ثروت ـ ماذا فى الامر ؟

ـ لاشىء ، وكل ما هنـــالك ان احتياطى الشاى الموجود لدى الشركه لم يعد كثيرا .

ـ المسألة أبسط من البساطة ، أنا اتصل بوالدى وهو يتصل بوزارة التموين ليحصل على نصيب الاسد من الكمية التى تستوردها الحكومة من الشاى .

ـ ربما لا يرضى وزير التموين بذلك .

ـ ياعم لا أحد يستطيع أن يرد للطفى بك طلبا فان ذهب أبى يرن فى جيوب الكثيرين من هؤلاء ومن السهل شراء ضمائرهم ـ إن كان لهم ضمائر .

واتصل لطفى بك بوزارة التموين وفى سهولة ويسر حصل على كمية ضخمة من الشاى المستورد بأسعار رخيصة جدا ، وتكدست فى مخازن الشركة وعبثت لتباع فى السوق السوداء بأسعار باهظة تثقل كاهل الفقير . .

وأحس عمال الشركة بالأرباح الطائلة التى تحققها من عرقهم وكدحهم ، ومن عرق المستهلك وكفاحه ، ومن السوق السوداء ، ونظروا إلى أنفسهم فوجدوا أنهم محرومون منها حرمانا يكاد يكون تاما . إن العامل منهم يأكل الخبز الجاف والبصل وان يسرت له الحياة فمع البصل كميات قليلة من الفول المدمس واذا مرض أحدهم أكلته العله وأبراه السقم دون أن يفكر فيه اصحاب الشركه ، ودون أن يساعدوه أدنى مساعدة ، واذا أقبلت الأعياد لا يفكر أصحاب الشركة فى أن يعطوا العمال أى مبلغ ولو كان ضئيلا يوسعون به على أنفسهم وأولادهم . ولهذا كله انتدبوا خمسة منهم ليتحدثوا إلى ثروت بك نائب المدير وطلبوا من الساعى أن يخبره أن بعض العمال يريدون الدخول اليه والحديث معه ، ولما اخبره الساعى بذلك خرج اليهم والسيجار فى فمه فلما رأى جمعهم اشتد ضيقة بهم وغضبه عليهم ثم قال :

ـ ما هذه الحماقة أيها الأوغاد ؟ ، وما تلك الفوضى أيها الرعاع ؟ تقبلون فى جماعة للتحدث معى لقد كان جزاؤكم الطرد فوراً ولكنى سأسمح لواحد منكم فقط بالدخول الى مكتبي والتحدث معى ولتكن أنت . ثم دخل العامل الذى اختاره ولما مثل بين يديه سأله :

ـ ما اسمك ؟

ـ صابر محمود .

ـ ماذا تريدون؟

ـ نريد شيئا من الانصاف يا سعادة البك ولنا آمال نرفعها لسعادتكم :

أولا : إنشاء مستشفى خاصة بالشركه .

ثانيا : صرف نسبة ضئيلة من الأرباح للعمال .

ثالثا : صرف جزء من المال للعمال فى الاعياد .

فقال له ثروت بك ـ أوصلت بكم الجرأة الى أن تقدموا لنائب المدير مطالب وتملوا شروطا ؟ انها لبادرة سيئة . بل جريمة لا تغتفر ثم صفعه على وجهه فكاد يفقده صوابه ، وأمسك بمسدسه فى يده وهم بإطلاقه عليه وقال فى غضب غاضب وثورة ثائرة : أيها الحفاة السفله . انكم مفصولون من الآن ثم طلب من السعاة اخراجهم فوراً من باب الشركة وعدم ادخالهم اليها مرة ثانية .

فخرج العمال الخمسة مفصولين وفى نفوسهم حسرة ، وفى قلوبهم لوعة ، وفى عيونهم دمعة ، ويكادون يتميزون من الغيظ ، خرجوا يهيمون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، ولا يعرفون ماذا يفعلون ، وكل ما يحسون به أنهم أصبحوا على قارعة الطريق ولا يجدون قوت يومهم ولا يملكون شر وتقير وهم بعد ذلك كله لا يستطيعون أن يطالبوا نائب المدير بشيء ، فالسلطان فى يمينه ، والسطوة فى يساره . والذهب فى خزائنه . وإذاً فلا حول لهم ولا قوة .

***

اشتاق ثروت بك الى العزبة والى قصر أبيه فيها ، واشتاق الى أن يقضى مع بأويه بعض الوقت ، فترك الشركة ، وركب سيارته وبعد وقت قصير كانت السيارة

تقف على الباب الخارجي للقصر . . ولما دخل سلم على والديه ، ثم تركهما بعد قليل الى حديقة القصر ومشى بين أشجارها وتفقد أزهارها وثمارها ، ثم أخذ يمشي الهوينى على الطريق الواقع بينها وبين الترعة شمالها ثم نظر أمامه فاذا به يرى غير بعيد منه فتاة قادمة نحوه تحمل فوق رأسها جرة مليئة بالماء فارسل بصره اليها فرأى نضارة الشباب ، وجمال المحيا ، رأى عينيها كأنهما عيون المها بين الرصافة والجسر كما قال الشاعر العربي القديم ، ورأى الجرة فوق رأسها وقد أمالتها الى اليمين بعض الميل ، رأى خصراً نحيلا ، وقواما ممشوقا وقد اكمضن البان كما يقولون ، ولم تكن الثياب التي ترتديها الفتاة بالجديدة أو الموشاه أو المطرزة أو بالتي حيكت لتكون قطعة من جسمها وانما رأى جلبابا أسود اللون عادى الصنع ، ولكنه يستر تمثالا رائعا للجمال ، ويغطي جسما كأنه قد خلق كما أرادت صاحبته أن يكون فتنة وروعة رأى ثوبا يؤكد معنى قول الشاعر العربي إيليا أبي ماضي :

فلست الثياب التي ترتدى ∴ ولست الأسامى التي تحمل

رأى وجهها لم يجلب اليه الجمال المصطنع بالأصباغ ولم يبدل لونه أو تغير سحنته بما تعارفت عليه فتيات المدينة .

فسمر ثروت بك في مكانه واتجه إليها بقلبه وعقله وعينه حتى إذا اقتربت منه ارتجف لها قلبه وعرته هزة كما انتفض العصفور بلله القطر . وعندما ازدادت منه اقترابا غطت جانب وجهها بجزء من خمارها في شيء من الخجل والاستحياء ، وظلت كذلك حتى بعدت عنه في طريقها الى الدار . . .

وسأل ثروت خليلا الخفير :

ـ من تـكون هذه الفتاة ياخليل ؟

ـ أنها سعدية بنت منصور خولى العزبة ياسعادة البك .

ـ عجيب !! هذه بنت منصور ؟

ـ نعم إنها بنته ياسعادة البك وهى بنت طيبة جـــــدا وهادئة وعندها حياء شديد ...

وهنا نهره ثروت بك عن الاسترسال فى الحديث . لأنه لا يريد أن يقطع عليه لذة التفـكير فى جمال تلك الفتاة ، ثم ساءل نفسة ، لماذا دخلت تلك الفتاة قلبة وتربعت فيه بهذه السرعة ؟ ولماذا أحس نحوها بهـذا الميل الشديد . بل بذلك الحب الجارف . لقـد رأى الـكثيرات من فتيات المدينة ، بل انه قضى مع بعضهن أوقاتا ممتعة وساعات لذيذه ولـكنه لم يشعر نحو واحدة منهن بما شعر به نحو سعدية بنت منصور . ترى هل حيـــاء الفتاة يجعل جمالها أشد قسرا وأقوى أمرا للقلوب ؟ وهل الجمال الطبيعى أعظم أثراً وأكثر فتنة من الجمال المجلوب ؟ وهل اعتزاز الفتاة بجمالها واحتفاظها بحيائها يزيد القلوب تعلقاً بها وإقبالا عليها . قد يـكون ذلك كله صحيحاً وقد يـكون بعضه غـير صحيـــح . ولـكن المهم أن ثروت بك أحس بالحب العنيف القوى يملأ قلبه لأول مرة وأخذ يفكر. كيف السبيل إلى سعدية ؟ ! الامر سهل يسير انه لا يحتاج منه إلى عناء وتفـكير إنه يأمر والدها بأن يرسلها معه الى قصره فى القاهرة لتقوم بخدمته مع بقية الخدم وان والدها منصورا سوف يعتبر ذلك تـكريما له وشرفا عظيما ، وعاد ثروت بك الى القصر وطلب من خليل الخفير أن يحضر اليه منصوراً فى سرعة . وبعد قليل كان منصور يقف أمام ثروت بك فى حديقة القصر :

ـ يا منصور . .

ـ أفندم يا سعادة البك

ـ أنا أريد سعدية بنتك تسافر معى الى القاهرة لتقوم بالخدمة فى القصر مع بقية الخدم هناك .

ـ لـكن .. لـكن ...

ـ ماذا يامنصور ؟

ـ لـكن سعدية مخطوبة لعبد الدايم ياسعادة البك .

ـ من عبد الدايم هذا ؟ لابد أنه جربوع من جرابيع العزبة !! لتعلم أنى مسافر بعد غد ، أنت فاهم يا كلب وأنا قلت سعدية تسافر معى يعنى تسافر وكلمتى لا ترد وأمرى نافذ .

ـ حاضر يا سعادة البك

وذهب منصور إلى داره واجما حزينا وسألته زوجته ست الدار عن سبب وجومه فأخبرها بما قرره ثروت بك بالنسبة لسعدية وإصراره على أخـذها معه إلى القاهرة .

ـ وماذا تقول لعبد الدايم خطيبها ؟

ـ لا أعرف والله ياست الدار ماذا تقول .

ـ الحقيقة أنى غير مستريحة لذهاب سعدية مع ثروت بك

ـ وأنا أيضاً غير مستريح اطلاقا ، ولـكن ماذا أفعل ؟ ومن فى القرية كلها

يجرؤ أن يرفض أى طلب لثروت بك ؟ ألسنا قطعـــانا من الآدميين تعمل فى مزرعتهم ؟ ألسنا أكداسا من البشر يتصرف فينا ثروت ووالده كما يريدان ؟ بل ألسنا قطعا من الحجارة يقذفونها الى أية ناحية ويرمونها الى أى اتجاه ! !

وهنا يدخل عبد الدايم ويسأل :

— ماذا فى الأمر ياعم منصور ؟

— لا شىء ياعبد الدايم .

— بالله ماذا فى الأمر ؟

— يابنى ثروت بك يريد أن يأخذ سعدية معه الى القاهرة .

— إلى القاهرة ! ! لماذا ؟

— لتقوم على خدمتة .

— تخدمه !!! كيف هذا ؟ لايمكن أنا لا أقبل ذلك مطلقا ولا أطيق بعدها أبداً ثم أننا فى طريقنا الى الزواج فكيف يحطم ثروت بك آمالنا بهــــذه السرعة العجيبة ، وبهذا التصرف الطائش ، ولكن متى كان لثروت بك أو لوالده قلب يحس ويشعر معنى العطف والحنان ؟ .

— اسكت يا عبد الدايم أنسيت الكرباج والتعذيب والتهديد والوعيد ؟ . الأمر لله يا بنى تذهب معه سعدية مدة قليلة وترجع ثانيا ولإن شاء الله ربنا يتم لكم كل خير .

— أمرك ياعم منصور . والأمر لله وحده .

وتدخل ست الدر على سعدية لتخبرها برغبة ثروت بك واصراره على سفرها معه فتقف سعدية مذهولة واجمة وتقول لأمها .

- يا أمى أنى لا أريد مغادرة دارنا ولا أحب أن أبتعد عنك أنت وأبى وأخى عثمان ثم ألست فى طريقى الى الزواج من عبد الدايم ؟ وهنا تنحدر من عين سعدية دمعة حارة تـكاد تحرق خـــدها الوردى . فتبكى أمها لبكائها وتقول : اصبرى يا بنتى امرنا لله وحده، ولـكن ياسعدية احترسى جدا وكونى صاحية ويقظة وانت فاهمة ما اريد ان اقوله .

- اطمئنى جدا وانا سعدية بنت منصور .

وفى اليوم المحدد ركب ثروت بك سيارته وجلست سعدية فى المقعد الخلفى وطار بها الى القاهرة ، ووصلت مع سيدها ثروت بك الى قصره ولما وصلته دهشت لما رأت مما لاعهد لها به من قبل وأوصى ثروت بك الخدم خيرا بسعدية وطلب منهم أن يحسنوا استقبالها ويترفقوا فى معاملتها ، ويتجنبوا الاساءة إليها، وأن يكون عملها فى القصر ترتيب حجرة نومه الخاصة ، وتقديم القهوة أو الشاى له كلما رغب فى شرب أى منها وأحضرت لسعدية ثياب جديدة فاخرة فخلعت جلبابها الأسود ولبست ثيابها الجديدة ، ونظرت فى المرآة فلم تضق بمنظرها كل الضيق ولم ترض عنه كل الرضا ، وكان إحساسها نحوه بين هذا وذاك . إن الثياب التى ارتدتها جـديدة وجميلة حقاً ولـكنها أظهرتها فى صورة غير لا ثقة بها ؛ ألم تـكشف عن ساقيها ؟ وما كان لهما أن ينكشفا ، ألم تبرز نهديها ؟ وتحدد خصرها النحيل فى دقـة ، ألم تظهر مفاتنها فى سحر وروعة ، ألم يطلب إليها أن تمشط شعرها وأن ترسله على

كتفيها فى سواده الفاحم واسترساله البديع . إن كل فتاة لابد أن تعجب بجمالها ويطيب لهـــا أن يرى الناس ذلك الجمال فيفتنوا به ويثنوا عليه ، (والغوانى يغرهن الثناء)

ولـكن سعدية وقفت امام ذلك كلة فى حيرة من امرها ، كم تمنت ان تدخر ذلك الجمال لعبد الدايم . وكم تمنت لو ان أحدا لم يعجب بذلك الجمال قبله . ثم لعلها خشيت عاقبة هذا الجمال وقد ساقتها الأقدار الى بيئة جديدة لا تدرى من الوان الحياة فيها شيئا كثيراً . .

ثم لماذا أوصى سيدها بها بقية الخدم كثيرا ؟ ولماذا استقبلها فى القصر حفيا بها مهتما بأمرها فأحضرت لها الثياب الجديدة فور وصولها ولماذا جعل عملها فى البيت مقصورا على تنظيف حجرته الخاصة وتقديم القهوة له ؟ . ان وراء ذلك كله لسرا قد يـكون اكبر مما تظن بل اخطر مما تظن . وعلى كل حال ان لها عملا وعليها ان تؤديه كاملا ، وليس لأحـــــد ان يرغمها على لمر يمس شرفها او يحطم اعتزازها بعفتها . . . .

ملأت تلك الأفكار السابقة ذهن سعدية وفـكرت فيها وقتا غير قصير وكانت ثقيلة عليها مقلقة لها ، ولـكن سعدية عللت نفسها بأنها قد تـكون مخطئة فيما ذهبت اليه من ظن - وبعض الظن اثم - وقـــــد يـكون ما وجدته من اكرام سيدها لها خالصا لوجه الله ؛ فلتبدأ عملها بالقصر مستعينة بربهـا معتمدة عليه ، ومضت الأيام الأولى بسعديه فى القصر وضروب إكرامها تزداد يوما بعـد يوم فهى تأكل من الطعام ما تشتهى ، وتلبس من الثياب ما لم تلبسه فتاة ريفية مثلهـا من قبل . بل إنها لم تر مثله على كثير من فتيات الشارع الذى يقـــع فيه قصر

سيدها . .. ثم اكتملت أنوثتها وازداد وجهها بهاء ونضرة وازداد جسمها جمالا وفتنة ، وازداد سيدها بها هياما ! !

فأحضر لها بعض الهدايا التى تروقها وتعجبها واعتبر تلك الهدايا الخيوط الأولى فى الشبكة التى صمم على نصبها لصيدها أو الفصول الأولى التى تمهد له القيام بالفصل الأخير فى المسرحية الاجرامية التى يريد أن يمثلها مع سعدية . .

وذات ليلة دخل ثروت بك حجرة نومه ولبس ثيابه التى تعود أن يلبسها فى حجرة النوم ودق الجرس فأسرعت اليه سعدية فطلب منها أن تحضر له فنجانا من القهوة وبعد دقائق حملت سعدية فنجان القهوة على صينية مذهبة، واستأذنت فى الدخول على سيدها ثم دخلت وقدمت القهوة إليه وهمت بالانصراف ، ولكن ثروت بك استوقفها وطلب منها أن تجلس معه حتى يشرب القهوة فقالت له فى شىء من الحياء والخوف :

ـ ارجو ان تسمح لى يا سيدى بالخروج من الحجرة ، وإذا انتهيت من شرب القهوة ، حضرت مسرعة لآخذ الصينية . . فقال لها :

ـ اجلسى يا سعدية . اجلسى معى بعض الوقت حتى انتهى من شرب القهوة .

جلست سعدية على مضض ودارت فى ذهنها كل الظنون التى مرت به من قبل ورنت فى أذنها كلمات أمها التى أوصتها بها ليلة سفرها (احترسى يا سعدية كونى يقظة) فأحست بقشعريرة خفيفة تعترى جسمها فقال لها ثروت بك :

ـ لماذا أنت مضطربة يا سعدية ؟ .

ـ لا شىء يا سيدى لست مضطربة كما ظننت وانما أحسست بشىء من البرد

وهنا قدم ثروت بك كوبا مليئة بالخمر لتشربها . فقالت له :

ـ ما هذا الشراب يا سيدى ؟

ـ إنه نوع لذيذ من المشروبات . جربية يا سعدية اشربى هذه الكوب .

ـ اعفنى يا سيدى من شربة فلا حاجة لى به .

ثم همت بالانصراف ، ولكن ثروت بك أسرع الى باب الحجرة وأغلقه وأحدث إغلاقه صوتا قويا ازعج بعض الخدم فتوجست سعدية خيفة وتوقعت الشر وصممت على مقابلته فى حزم مهذب ودفع رفيق وقالت لسيدها :

ـ قلت لك اعفنى يا سيدى من الشراب ومن الجلوس فى الحجرة معك . اعفنى

ثم فتحت الباب وتسللت منه الى الحجرة التى تعودت أن تنتظر فيها معظم أوقاتها وأرغم ثروت بك على ترك الفرصة تطير منه لأنه احس ببعض الخدم الآخرين قد استيقظ . ثم قال لنفسه : ان لم يكن اليوم فغدا ، وسوف احكم وضع الخطة القادمة حتى اصل الى ما اريد فى غير ماضجة او جلبة .

ذهبت سعدية الى حجرتها واخذت تفكر فيما حدث من سيدها وقد بدا يتضح لها السبب الجوهرى فى اصراره على احضارها معه الى قصره فى القاهرة وكاد يتأكد لها الهدف من اكرام وفادتها ومن كثرة الهدايا التى قدمت اليها واستبد بها التفكير حتى كاد يعصر مخها ، ووقفت امام الظروف التى تحيط بها من كل ناحية فى اضطراب وحيرة وكانت كصياد فى عرض البحر ارسل شباكه اول مرة وجذبها فوجد فيها سمكا كثيرا ثم اضطرب الموج وهاجت الرياح فهو يريد النجاة بنفسه وسفينته ولكن كثرة السمك تغريه بالبقاء فى البحر يقاوم موجه ويجابه رياحه ويحصل على السمك

لقد اكلت سعدية من الطعام ما لم تأكل ولبست من فاخر الثياب ما لم تلبس وذاقت النوم لأول مرة على فراش وثير وقـدم لها من الهدايا عدد كثير وليس فى عملها بالقصر إرهـاق او مشقة ثم هى لا تجد من أحـد فى القصر شيئا تضيق به او تنفر منه او ترتاع له اللهم الا ماحدث من سيدها منذ قليل فهل تترك ذلك القصر المنيف ومن فيه ، وتعود الى دار ابيها فى العزبة متمثلة بقول الاعرابية :

لبيت تخفق الارياح فيـــه .·. احب الى من قصر منيف

ولبس عباءة وتقـــر عينى .·. احب الى من لبس الشفوف

أو تبقى فى القصر تجابه سيدهـــا فى عزم وإصرار وتلقنه درسا فى فهم معنى الشرف والـكرامة وتبين له أن سلطان كل طاغ وجاه كل باغ ومال كل جبار أثيم قد لا يستطيع ذلك كله وقد اجتمع لديه أن يرغم سعدية على بيع شرفهـــا أو التفريط فى عرضهـا ، وتثبت له فى عزة وكرامة أن ذلك كله لا يمكن أن يزحزها قيد شعرة عما فهمته من الحـكمة التى لقنتها لهـا أمهـــا منذ صغرها (زينة البنت عفتها ، وشرف البنت تاج أسرتها) .

ثم قررت ألا تفر من المعركة عند بدايتها بل سوف تصمد إلى نهايتها وسوف تبقى فى القصر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا ...

وبعد مدة تذكرت فنجان القهوة الذى قدمته منذ قليل فاتجهت صوب حجرة سيدها لتعود به بعد أن شربه ولـكنها فوجئت بنور الحجرة يطفأ فآثرت أن تتركه إلى الصباح طالما أن سيدها بدأ ينام ؛ وسواء لديهـا إن كان قد بدأ ينام فعلا أو يتناوم فذلك أمر يهمه هو أما هى فقد عرفت طريقها ورسمت لنفسها خطتهـــا وحددت هدفها وغايتها وكأنها تقول له :

ثم أيها السيد المغرور أو تناوم واشرب القهوة وحدك إن شئت أو الق بها فى أرض الحجرة إن أردت وتنمر أو استأسد لسعدية بنت منصـــــور ولتذهب بك الظنون كل مذهب ولتطوف بك الأوهـــــام ما شئت لها أو ما شاءته لك . .
ثم استلقت على فراشها لتنام وفى صباح اليوم التـالى أعدت لسيدها مائدة الافطار فأكل ، وقدمت له القهـوة فشرب ثم ذهب إلى مكتبه فى الشركة ورأسه مهموم مثقل وعقله متعب مكدود وقلبه معذب معنى

مضت أيام بعد هذا الذى حدث وحاول ثروت بك أن يتظاهر لسعدية بأن ماحدث لم يزعجه ولم يؤلمه لأنه لم يشغل ذهنه به ولم يهتم له ولم يغير معاملته لها فى قليل أو كثير . بل إنه حاول تحسينهـا وهو بذلك يريد أن يشعرها أن الذى حدث لم يكن مقصودا وإنما جاء عفواً وهو لذلك لن يتكرر ؛ ولكن ثروت بك فى حقيقة أمره يمهد إلى تكرار الفصل الأخــــير من المسرحية عسى أن يضع نهايتها فى الفرصة القادمة والتى ستكون أقرب مما تتصور سعدية بكثير جدا .

وذات ليلة عاد ثروت بك وقد لعبت الخمر برأسه بعض الشىء ودخل حجرة نومه وخلع ملابسه ونثرها فى جوانب الحجرة فى صورة مزرية مضحكة ثم نادى سعدية فأسرعت إليه

ــ أدخلى يا سعدية .

ماذا تريد ياسيدى ؟

ــ أريد أن تدخلى وتغلق الباب .

فدخلت سعدية ولكنها لم تغلق الباب ، فقام هو إلى الباب فى شىء من الأعياء وأغلقه ثم قال لها :

ـ اجلسى يا سعدية .

ـ لا داعى للجلوس .

فطوق كتفها بيده ولكنها رفعت يده عنها وقالت له :

ـ أرجوك يا سيدى لاداعى لهذا التصرف .

فضحك ضحكة صاخبة ثم مد يده مرة ثانية وطوق بهـا خصرها فرفعت يده فى عنف وشدة وكأنه اغتاظ لهذا الرد العنيف منهـا فضمها بيده وحاول تقبيلها فنفرت منه نفوراً شديداً ولكنه صمم على ألا يترك الفرصة تفلت منه هـذه المرة فحملها بيديه وألقاها على السرير فى قسوة وغلظة فوقفت أمامـه وقالت له فى إصرار وحزم :

يا ثروت بك خير لك أن تتركنى فلن تنـال مأربك منى وكأن ذلك الرد الحازم نبهه فقال لها :

تمتنعين علىّ يا بنت منصور أنسيت أن أباك أجير عندنا فى العزبة ؟ أنسيت أنى أستطيع أن أطرد أباك وأمك وأسرتكم كلها من العزبة فى ثوان قليـلة ؟ أنسيت أننى ثروت بك بن لطفى بك الدلنجاوى . خير لك أن تستسلمى .

ـ نعم أنا أذكر ذلك كله ولا أنساه ، وأذكر أنكم قد استبحتم منا عرقنا وجهدنا ودماءنا واستحللتم كدحنا وتعذيبنا ، والشىء الذى أذكرك به يا سيدى جيداً وأغلب الظن أنك قد نسيته هو أنكم مهما أوتيتم من قوة ومهما كان لكم من سلطان ومهما وصل بكم الاستغلال لنا نحن الكادحين المعدمين فى ضيعتكم فانكم لن تستطيعوا مطلقا أن تستبيحوا أعراضنا ...

وهنا صفعها ثروت بك على وجهها صفعة مؤلمة فقالت له فى غيظ :

ـ أما وقد فعلت ما فعلت فخذها صفعة بصفعة والبادىء أظلم ؛ ثم صفعته على وجهه وغادرت البيت مسرعة واختفت عند إحــــدى صديقاتها إلى صباح اليوم التالى ، ثم ركبت أول سيارة فى طريقها إلى دار أبيها منصور فى عزبة لطفى بك الدلنجاوى .

وصلت سعدية إلى دار أبيها فى القرية فوجدت أمها فى الدار فألقت بنفسها بين ذراعيها ووضعت رأسها على صدرها وأجهشت بالبكاء وانهمرت الدموع من عينيها غزيرة ، وانتفض جسمها انتفاضا قويا وأخــذت تردد فى صوت متهدج . أمى . . . أمى . . . أمى . . .

فربتت أمها على كتفها وضمتها إليها فى لهفة وحنان ثم سألتها :

ـ ماذا بك يا سعدية ؟ أخبرينى ماذا حدث يا عزيزتى ؟ ولمــاذا جئت من القاهرة ؟ وكيف جئت ؟ فلم تزد سعدية شيئا عن قولها :

أمى ... أمى ... أمى ..

ثم أخذت ست الدار تهدىء من روع ابنتها فتقبلها تارة وتضمها إلى صدرها تارة أخرى وتجفف دمعها بذيل جلبابها حينا ، وتقول لها فى عطف وحيرة حينــا آخر عيب يا سعدية البكاء ، ثم قامت فأحضرت لها القلة وسقتها بعض الماء .

ولما هدأت سعدية سألت أمها :

ـ أين أبى ؟

ـ إنه فى الحقل وسوف يحضر بعد قليل .

ـ وأين أخى عثمان ؟

ـ لقد ذهب مع بعض أصدقائه ليذاكر بعض دروسه .

ـ وكيف صحتها ؟

ـ على أحسن حال والحمد لله . والآن أخبرينى يا سعدية . ماذا حدث ؟

ـ أتعرفين لماذا أخذنى المجرم ثروت بك إلى قصره فى القاهرة ؟

ـ لكى تخدميه طبعا .

ـ لا يا أمى . لقد أخذنى ليسلبنى أعز ما أملك

ـ يا مصيبتاه . . . يسلبك أعز ما تملكين !! هل أصابه جنون ؟

ـ إنه أكثر من مجنون إنه وحش لاقلب له ولا ضمير عنده ولا يعرف أى معنى للشرف أو الكرامة. إن الشرف عند هذا المجرم وأمثاله من المتعطلين بالوراثة هو فى التسلط على الناس وفى سلبهم حقوقهم بل وفى طعنهم فى مقدساتهم .

ـ وماذا فعلت يا سعدية ؟

ـ فعلت ما تفعله كل فتاة أبية النفس كريمة الخلق تبذل روحهـــا فى سبيل عفتها وشرفها وكانت النتيجة أنى صفعته على وجهه ...

وهنا يدخل منصور .

ـ أهلا سعدية

ـ أهلا بك يا أبى . ثم تقبل يد أبيها ويضمها هو إليه ويقبلها ويسألها :

ـ من صفعت يا سعدية ؟

ـ (ست الدار) صفعت ثروت بك .

ـ يا مصيبتك سودة يا سعدية !! صفعت ثروت بك !! ياخرابنا ويا لسواد ليلنا

ـ لقد فعلت ما كان يجب أن تفعل يا منصور . لقد حاول المجرم أن يعتدى على شرفها فياليتها طعنته بخنجر ..

وهنا يطرق منصور بعض الوقت ثم تقول له زوجته :

ـ الأرزاق على الله يا منصور والذى خلق أرض لطفى بك وابنه ثروت بك خلق أرضا غيرها يا منصور وأنا أرحب بالجوع والعرى والفقر فى سبيل المحافظة على شرفنا وعرضنا .

فيقوم منصور إلى سعدية ويقبلها مرة أخرى ويضمها إليه ويقول لها .

ـ طولت رقبتى ورفعت رأسى يا سعدية الله يبارك فيك يا بنتى .

وهنا يدخل عبد الدايم فيعرف الخبر من منصور فيزداد إعجابا بسعدية وتقديرا لها وهياما بها ويسأل عمه منصورا :

ـ ترى ماذا سيفعل ثروت بك يا عم بعد تلك الصفعة المميتة بل الطعنة القاتلة

ـ والله يا عبد الدايم أنا أظن أنه سوف يطردنا من العزبة بين عشية وضحاها ومن يدرى ؟ فقد تكون هذه آخر لحظاتنا فى هذه العزبة .

ـ وهبه فعل ذلك ماذا يضيرنا يا عم ؟

ـ سيصيبنا شر كثير يا عبد الدايم ـ سنترك زراعتنا فى الأرض دون ان نأخذ عنها اى تعويض وسنترك ماشيتنا دون ان نجرؤ على المطالبة بأى ثمن لها ثم سنترك هذا المكان الذى ألفناه إلى مكان آخر لا عهد لنا بالاقامة فيه ـ هذا إذا وجدنا مكانا آخر ـ ثم اهل العزبة ماذا يقولون عنا إذا رحلنا يا عبد الدايم ؟

ـ سوف نجد مكانا آخر نقيم فيه . وأما أهل القرية فلن نذكر لهم شيئا عما حدث وهم لن يعرفوا من الأمر قليلا ولا كثيرا ، وأما أننا سنترك زراعتنا فى الأرض دون تعويض فهذا أمر لا حيـلة لنا فيه ولا اختيار لنا معه . وإن كنت أرجح يا عم منصور أن المجرم ثروت قد ينتهى به تفكيره فيما حدث مع سعدية إلى أن من الخير له ألا يذكر شيئا عنه لأحد ومن الخير ألا يتصرف أى تصرف يوحى بأنه ثائر عليك أو ضائق بك خوفا من أن يتساءل الناس عن سبب هـذا الضيق ويتهامسون فيما بينهم باذلين جهـدهم لمعرفتـه والوقوف عليه . ولهذا فاننى أكاد أجزم بأنه لن ينتقم منا ولن يسىء إلينا فهـدىء من روعك واطمئن بالا واهدأ نفسا وقر عينا يا عم منصور ودخلت كلمات عبد الدايم قلب منصور واستقرت فيه وأحس منصور بالطمأنينة تعم قلبه وبالرضا يملأ نفسه وبالأمن ينشر عليه ظلاله . ومضت أيام عديدة بعد وصول سعدية إلى العزبة قاربت الشهر أو تزيد ولم يبد من ثروت بك أى شىء يعكر على منصور وأولاده صفو الحيـاة حتى كأن الذى حدث لم يحدث . .

ولم تمض إلا شهور قليلة حتى كانت سعدية تزف إلى زوجها وحبيبها عبدالدايم فاشترك أهل القرية جميعا فى الفرح والتهنئة بالزفاف على طريقتهم الخاصة فاجتمعوا ليـلة الزفاف يستمعـون فى نشوة ومرح إلى الريس « محمد » المطرب الشعبي يردد مواويله فى صوت جميل يصاحبه المزمار البلدى ذو النغم الشجى وكلهم يصغون له فى شغف ويصفقون له فى إعجـاب ويقدمون له (النقوط) فى بهجة والنساء ترسل الزغاريد مع مقاطع كل موال وبخاصة عندما سمعته يغنى :

يأهل عزبتنا الليلة فرحتنا وفرحنا دايم
وعوسنا يلالى والمغنى تحلالى
واغنى موالى فى فرحنا الغالى

البنت يوم متحفظ شرفها يبقى مقامها كبير
والعفة تاج الفتاة على راسها عظيم وخطير
والعفة للبنت تاج أغلى من الذهب قناطير
يللى رماك الهوى ابحث كتير وكتير
ما يغرك المال بكره المال يطير ويطير
ما يغرك الجاه ياما يجيب تكدير
ابحث عن الأصل لما تلاقيه عريض وكبير
أطلب إيد البنت تلقى السعادة كتير وكتير

يا أهل عزبتنا الليلة فرحتنا وفرحنا دايم
وعوسنا يلالى والمغنى تحلالى
وأغنى موالى فى فرحنا الغالى

ياللى رماك الهوى أهل الهوى مساكين
ياما يقضوا ليالى فى شجن وأنين
ليلهم يطول وهمّ على الوداد حفظين
والناس تلومهم وهمّ على الملام صابرين
ياللى رماك الهوى اصبر على اللايمين

يأهــل عزبتنا الليلة فرحتنا	وفرحنـــــا دايم
وعرسنــــــا يـــــلالى	والمغـــــنى تحـــــلالى
واغـــــنى مـــــوالى	فى فرحنـــــا الغـــــالى

وظلت السهرة ممتدة إلى ما بعد منتصف الليل حتى إذا انتهت أطلقت النساء الزغاريد ثم انصرف كل واحد من أهل القرية إلى داره .

وفى صباح اليوم التالى زاول كل منهم عمله باذلا فيه جهده وعرقه معتمدا على ربه داعيا الله أن يهب له الصحة والعافية ليستطيع مواصلة الكفاح فى سبيل لقمة العيش له ولأبنائه وذويه .

الفصل الرابع

زلة وإذلال

دخلت جيهان مدرسة خاصة فى طنطا وأتمت المرحلة الابتدائية ، ثم واصلت دراستها فى المرحلة الثانوية ، ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها تجمعت فيها معانى الأنوثة الفاتنة؛ فوجهها كاشراقة الصبح يبعث الأمل ويمنح البهجة ويثير الاعجاب وشعرها طال فى استرسال واصفر لونه فى بريق وانتشر على كتفيها فى فتنة ، وإذا عبثت به الريح سرت فيه تموجات هادئة وادعة وغيرت من نظامه وهو فى تلك (الهوجلة) يزداد سحرا وروعة وعيناها الجميلتان كم صوبت سهامهما الى القلوب ، وكم أصمت بها من ألباب وكم نظرت بلحظها نظرات فاترة فأضرمت نار الهوى والهبت حرارة الجوى ، كل ذلك فى غير ما عمد ولا قصد ، وخصرها الذى دق فى روعة فأبرز اردافها ، ونهداها لله ما أجملهما ، لقد ارتفعا فوق عرشهما العالى واستدارا خلف الثياب يصوران جمال الأنوثة فى ريعان الشباب ، والحقيقة ان جيهان كانت مثلا للجمال الساحر بل كانت الجمال الفاتن بأحلى صورة واجلى معانيه وهى لذلك كانت ترى الاعجاب بها والثناء على جمالها والافتتان به من كل من يراها .

فالمدرسات معجبات بجمالها اشد الاعجاب والمدرسون يقدرونه كل التقدير وبعض زميلاتها ضائقات بها ساخطات عليها يتمنين لها الشر ويشتهين لها الخيبة والفشل ، وفى تلك الفيلا الأنيقة التى تطل على شارع الجعفرية فى طنطا اقامت

جيهان مع خالتها ، وكانت السيارة تذهب بها كل صباح إلى المدرسة وتعود بها بعد الدراسة إلى الفيلا ، وكثيرا ما كانت تحضر والدتها كريمة هانم لتقيم مع أختها بعض الوقت حتى تخفف عن جيهان شوقها الشديد إلى والديها وإلى العزبة حيث مدارج طفولتها وحيث انطلاق حريتها أو حرية انطلاقها فإذا ما أحست من جيهان اطمئنانا وأنسا عادت إلى قصرها فى العزبة .

وسارت جيهان فى دراستها فى السنة الأولى من المرحلة الثانوية سيراً طيباً فهى مقبلة عليها معنية بواجباتها مهتمة بدروسها وهى لا تهتم فى كثير أو قليل للعبث الصبيانى الذى تسمعه من بعض شبان المدارس الثانوية إذا رأوها نازلة من السيارة أو متجهة نحوها أو صاعدة إليها أو راكبة فيها وقد نجحت آخر العام وفرحت أمها لنجاحها وفرح أبوها لطفى بك وقدم كل منهما لها هدية ثمينة .

وانصرفت جيهان لدراستها وصمت آذانها عن عبارات الثناء والمدح والاعجاب وأغمضت عينيها عن نظرات التطفل والتوسل التى نظر بها إليها المتوسلون ، وأغلقت قلبها دون ذلك الذى يسميه الناس حباً وكأنها لم تكن ترى فى كل من تصادفه من الشباب جميعاً من يستحق أن تفتح له قلبها أو تغمض عليه جفنيها أو تملأ به خيالها

ولكنها ذات يوم نزلت من الفيلا ووقفت أمام بابها الخارجى تنتظر خروج السيارة من « الجراج » فوقع نظرها على مدحت فوجدته ينظر إليها نظرة عميقة حملت إلى نفسها أكثر من معنى ومست قلبها فى رفق ورأته يتمهل فى سيره ، ويقصر فى خطوه ، ويكثر من التلفت إليها بعد أن بعد عنها ، وكأنها قد ارتاحت لبطئه وكثرة تلفته ، وتمنت لو أن السيارة تعطلت اليوم فاتخذت من ذلك فريسة

للذهاب إلى المدرسة سائرة على قدميها وتمنت لو أنها استطاعت أن تلحق بمدحت فى الطريق قبل أن تذهب إلى مدرستها لا لكى تتحدث معه بل لتبادله نظرة بنظرة ولكن سائق السيارة قطع عليها ذلك التفكير اللذيذ إذ وجدته أمامها يقول لها وقد فتح باب السيارة :

اتفضلى يا ست هانم .

فركبت على كره منها وانطلق السائق الى مدرستها وعند نزولها من السيارة وجدت « مدحت » يسير قريبا من باب مدرستها فتبادلا نظرتين حانيتين ثم دخلت المدرسة فى سرعة وكانت كالزهرة الناضرة فى الخميلة الزاهرة يعطر الجو أريجها ويشع البهجة جمالها .

وتكررت من مدحت النظرات وكثرت منه اللفتات وملأت جيهان قلبه وملكت عليه خياله .

وذات يوم كانت جيهان واقفة عند باب المدرسة تنتظر السيارة لتعود بها الى الفيلا فوجدت مدحت يمر أمامها ويلقى رسالة فوق حقيبتها ثم انصرف بعيداً عنها وأخذت جيهان الرسالة فى شوق ولهفة ووضعتها وسط كتاب الحساب ثم أحست برغبة شديدة فى قراءتها وهمت أن تمد يدها الى كتاب الحساب وتخرج منه الرسالة ولكنها خشيت أن تراها معها احدى زميلاتها فتعرف شيئا عن أمرها فانتظرت على مضض حتى تصل الى الفيلا ، وذهب بها خيالها الى آماد بعيدة ، وطوف بها آفاقا مترامية ، وأحست شيئا من المتعة فى ذاك التطويف ، ولكنها وجدت سائق السيارة يناديها : اتفضلى يا ست هانم

فركبت ؛ ولم تمض الا دقائق قليلة حتى كانت جيهان تصعد درج سلم الفيلافى سرعة غير عادية ، وحيت خالتها :

ـ سعيدة يا طنط

ـ سعيدة يا حبيبتى ، كيف حالك فى المدرسة اليوم يا عزيزتى ؟

ـ جيدة جداً ، وا كثر تلميذات الفصل اجتهاداً

ـ واجمل تلميذة فى المدرسة كلها ايضاً يا حبيبة (طنط)

ثم ذهبت جيهان الى حجرتها واغلقت الباب خلفها وخلعت ملابس المدرسة واسرعت الى حقيبتها واخرحت الرسالة من كتاب الحساب وقراتها فاذا فيها :

عزيزتى ..

لقد استبحت لنفسى ان ا كتب اليب قبل التعرف عليك ، وعذرى اننى لم استطع صبراً ، ولم اطق الانتظار دون ان ا كتب اليك

لقد رايتك ا كثر من مرة وفى ا كثر من مكان رايتك امام الفيلا فى الصباح فكنت ا كثر من نضارة الزهر ، واريج العطر ، كنت احلى من الأمل يتحقق بعد الكفاح والعمل ؛ كنت الصورة الجميـــلة الرائعة التى يتخيلها كل شاب يعشق الجمال ، كنت رقيقة وديعة حتى خيل الى ان ذلك النسيم الهادىء الرقيق انما اقبل ليحييك وان اشراقة الصبح ليست الا من اشراق محيـــاك ثم احسست بقدمى تتثاقلان حتى كادتا تتسمران وقلبى تسرع نبضاته وتتوالى دقاته حتى خشيت عليه الرجفـــة والاضطراب ، ولكنى حاولت متابعة السير فى ارهاق جسمى وتشتت فكرى والتهاب عاطفى

ولقد رأيتك قبل ذلك تدخلين المدرسة وتخرجين منها ورأيتك تركبين السيارة وتنزلين منها رأيتك لا تهتمين بأحد من متسولى الحب ومتصنعى الهيام، وكنت مع دروسك فى شغل شاغل عن هؤلاء جميعاً، ولكنى عندما رأيتك تنظرين إلى فى سرعة خاطفة أحسست بمعنى جديد لم أشعر به من قبل. أحسست بأنى شيء له أهميته وأحسست بأن خيطا رفيعا بدأ يربط قلبينا، وأن ذلك الخيط — إذا صدق الظن — سوف يزداد قوة ومتانة.

وصدقينى يا جيهان أنى لاأدرى لماذا أكتب إليك هل أكتب إليك لأتحدث عنك؟ أغلب الظن لا فأنت أكبر من حديثى أو أكتب إليك لأصف لك شعور نفسى وإحساس قلبى، أغلب الظن لا، فأنت قد لا تهتمين فى كثير أو قليل بأحاسيس القلوب ومشاعر النفوس إذا كانت متصلة بك. أو أكتب إليك لأخفف عن نفسى لوعة تحس بها ولذعة مستها فأيقظتها وبالغت فى إيقاظها أغلب الظن لا، فان ذلك التخفيف لاسبيل إليه.

وإذاً لماذا أكتب إليك يا جيهان؟ قد أعرف السبب بعد ذلك وقد تعرفينه أنت قبلى أو بعدى ولكن المهم أنى وجدت نفسى مدفوعا الى أن أكتب اليك ويقينى أنى لن أتوقف عن تلك الكتابة، وكل رجائى أن تسعدينى بقراءة ما أكتب.

مدحت على

تليفون ...

قرأت جيهان الرسالة فأرضاها الثناء، وأعجبها الاطراء، ثم أعادت قراءتها

مرة أخرى وبدأت تحس بالخيط الرقيق يتصل بقلبها ويجذبه فى رفق ولين الى قلب آخر وتمنت لو أن ذلك الخيط ازداد قوة ومتانة وتوثق الرباط بين القلبين ثم وضعت الرسالة تحت وسادتها ولكنها خشيت أن تقع فى يد خالتها ؛ فدستها فى مكان بحيث كانت فى مأمن من كل يد إلا يدها .

وخلت إلى نفسها تفكر فى صاحب الرسالة . إنه شاب وسيم فى جسمه حيوية الشباب وقوته ، وفى وجهه نضارة الشباب ورونقه ، وفى رسالته معنى الحب ولوعته انه مدحت على ، ثم تساءلت مرة أخرى ' هل يمكن أن يكون من هؤلاء الشبان الذين لا يعرفون من الحب الا ألفاظًا تردد ، وكلمات معسولة تقال ، واطراء يكال وهل يمكن أن يكون من متسولى الحب ومتصنعى الهيام ؟ الذين يرون فى كل فتاة يعرضون لها أجمل القتيات ويفترون الكذب فيقولون أنهم يتحملون فى حبها الكثير من الوان الضنى والعـــذاب ، فعيونهم مقروحة ، وقلوبهم مكلومة ، ونفوسهم معذبة ' وليلهم سهر وارق ، ونهارهم ارهاق وعنت ؟ هل يمكن ان يكون مدحت من هؤلاء ؟ لا اكاد اظن انه منهم وان كنت لا اجزم بأنه ليس منهم ، وعلى اية حال فالأيام كفيلة باظهار ماخفى من امره ، وكشف ما استتر من نفسه والحقيقة ان مدحت احب جيهان واحس بها تملك قلبه ، وتستولى على نفسه احس بها تملأ حياته ، وتشغل فكره وخياله ، وكانت كأنما (تمثل له بكل سبيل) كما قال الشاعر العربى ، وانتظر ان يظفر منها برد على رسالته ، وطال الانتظار . واستبدت به الأفكار ، ولكنه لم يظفر بما كان ينتظر فرفع سماعة التليفون وادار رقما خاصًا فدق الجرس فى الفيلا المطلة على شارع الجعفرية ' ورفعت جيهان السماعة وسمعت :

ـ آلو .

ـ فردت فى صوت خفيض آلو . . من حضرتك ؟

ـ حضرتك . . من أنت .

ـ من فضلك أنت من ؟

ـ أنت جيهان ؟

ـ نعم

ـ أنا مدحت .

وهنا ارتعشت يدها بعض الشيء واضطرب صوتها وكادت تلقى السماعة خشية أن يزداد اضطرابها ، أو تدخل خالتها فجأة فتعرف شيئا عن تلك المحادثة التليفونية ثم قالت :

ـ أنت . . أنت . . كيف عرفت رقم التليفون ؟

ـ عرفته كما عرفته المهم أريد أن أراك فى غير أوقات المدرسة

ـ لا يمكن هذا ، ولن تسمح لى خالتى بالخروج وحدى .

ـ سوف أتصل بك مرة أخرى لنتفق على الموعد

ـ متى ستتصل بى ؟

ـ بعد غد فى الساعة الخامسة مساء

ثم أستأذنته فى إلقاء السماعة خوفا من أن تفاجئها خالتها .

وقررت جيهان أن تخلو الفيلا من خالتها فى الموعد الذى سوف يتكلم فيه مدحت وأخذت تعد للأمر ، وتفكر فيه وتقلبه على أوجه كثيرة .

هل أزين لخالتى الذهاب إلى السينما بعد غد من ٣ : ٦ وأحبذ لها حسن الرواية التى تعرض فيها ، أو أذكرها بزيارة جارة لها عزيزة عليها تقيم فى منزل قريب منا ، أو أدعو بعض صديقاتى لزيارتى فى هذا الموعد ، ثم أتركها تشغل معهن وتقبل عليهن وتنصرف إليهن ، فاذا تحدثت مع مدحت خلوت له وأنا مطمئنة بعض الشىء إلى أن خالتى لن تسمع من الحديث شيئا ولن تعرف منه إلا ما يعرفه النائم عن أمر أدير الحديث فيه وهو مستغرق فى نومه ورجحت جيهان الفكرة الأولى وعملت على تحقيقها فى لباقة ودقة وحسن تصرف وقبل الموعد ذهبت خالتها إلى السينما من ٣ : ٦ وفى الساعة الخامسة دق جرس التليفون فأسرعت جيهان إليه ورفعت السماعة فى لهفة وشغف وسمعت :

ـ آلو

ـ آلو

ـ من حضرتك ؟

ـ وحضرتك مين ؟

ـ أنا مدحت

ـ وأنا جيهان . . تكلم كما تشاء فقد خلت الفيلا من الرقباء وخالتى لن تحضر من السينما إلا بعد ساعة على الأقل .

ـ أرجوك ياجيهان أنا أريد أن نلتقى خارج الفيلا فى غير أوقات المدرسة

ـ وأنا يا مدحت أحب أن نلتقى ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

ـ ياجيهان ، إنك لا تعدمين الحيلة لذلك ، أخبرى خالتك انك سوف تذهبين إلى منزل صديقة لك لتذاكرا معا بعض الدروس ، واعتقد انها سوف توافق وانا يسعدنى جدا ان يكون لقاؤنا بعد غد فى الساعة الخامسه مساء .

ـ وأين يامدحت ؟

ـ فى شارع النادى قريبا من النادى الرياضى وسوف ترين سيارة ذات لون احمر وتحمل رقم . . وستجدينني جالسا إلى عجلة القيادة

ـ سيارة من !

ـ سيارتى

وما الداعى للسيارة يا مدحت !

إنها خير من المشى على الأقل ، وخير من ركوب السيارات العامة ؛ ثم اننا تستطيع ان نذهب بها إلى اى مكان تريدين .

واضطربت جيهان فى ابداء رأيها ، فان قلبها يدعوها إلى الموافقة دون تردد، ويلح عليها فى الاستجابة دون إبطاء ويطلب منها فى اصرار ان تقر المدعد والسيارة والركوب الى جوار مدحت فيها . ولكن عقلها يشير عليها بأن تتردد فى الموافقة، وان تتريث فى ابرام الموعد الذى حدده مدحت وبخاصة وان خالتها قد تشك فى الحيلة التى ستلجأ اليها ولكنها فى النهاية استجابت لنداء قلبها ، ووافقت

وقبل الموعد المحدد ذكرت جيهان لخالتها أنها سوف تذهب إلى صديقة لها تستذكر بعض الدرووس معها ، ثم تعود بعد وقت قصير ، وانها تفضل ان تذهب اليها سائرة على قدميها ولاداعى للسيارة والسائق .

ونجحت الخطة ووافقت الخالة ولكنها سألت جيهان :

ــ وما عنوان صديقتك ياجيهان ؟

ــ لست متأكدة من رقم المنزل الذى تقيم فيه ياطنط ولكن عند وصولى عندها سوف اتصل بك تليفونيا واخبرك عن رقم تليفونها لكى تتحدثى معنا فى اى لحظة تريدين .

وفى الموعد المحدد حملت جيهان حقيبتها وفيها بعض الكتب ولم تشغل نفسها باختبار تلك الكتب ولكنها ألقت بها إلقاء فى الحقيبة ، واتجهت إلى حجرة خالتها فاستأذنت فى الذهاب لصديقتها وسألتها خالتها :

ــ متى تعودين ياجيهان ؟

ــ لن أتأخر كثيرا ياطنط .

ــ بعد ساعة مثلا ؟

ــ حسب الظروف ، ظروف المذاكرة مع صديقتى .

ــ إياك أن يجلس معكما فى حجرة المذاكرة أى رجل غريب حتى ولو كان أخا لصديقتك .

ـ ياخبر ياطنط ! ! أنت تعرفين جيهان وتعرفين مقدار إعراضى عن الشبان وعن سخفهم وتوسلاتهم فاطمئنى ياطنط . ثم قبلت خالتها وأطلقت لساقيها العنان وكانت فرحة كالنائى يعود إلى أهله والغريب يرجع إلى وطنه وفى المكان المحدد وجدت السيارة الحمراء وقد جلس فيها مدحت فلما رآها فتح لها الباب وجلست بجانبه ! ثم اتجه بسيارته إلى مكان منعزل تقل فيه السابلة ويندر المـــــارة وسأل جيهان :

ـ هل نجحت الحيلة ؟

ـ نعم نجحت

ـ وأنت الآن تذاكرين مع صديقتك ! !

ـ أنا لا أذاكر الآن مع صديقتى وإنما أرد على رسالة صديقى ثم صمتت قليلا وقالت : سامح الله الـكبار ، إنهم يجعلون من أنفسهم رقباء على الشباب ولست أدرى علام التشدد فى تلك الرقابة ؟ هل لأن شبابهم ولى ولن يعود ، فهم ينتقمون لأنفسهم من الشباب ؟ أو أن تمسكهم بخيوط السطوة والتسلط ولإظهار السلطان يدفعهم إلى التحكم فى نزعات الشباب ، أو ما يدعونه لأنفسهم من التجارب والخبرة وأنهم بلوا الحياة ، ودرسوا الأيام فعرفوا الـكثير من خباياها واكتشفوا العديد من أسرارها فهم يريدون للشباب أن يستفيدوا من تلك الخبرة وينتفعوا بنتائج تلك الممارسة ، وسواء أكان هذا أم ذاك أو غيرهما فعليهم أن ينصحوا وليس لهم أن يتحكموا ، عليهم أن يرشدوا وليس لهم أن يتعصبوا ؛

عليهم أن يبينوا لأبنائهم قصد السبيل وليس فى استطاعتهم أن يرغموا الشباب منهم على سلوك هذه السبيل .

ـ دعينا يا جيهان من تلك الفلسفه ولنترك الكبار فى دنياهم المودعة . وفى سلطتهم المتداعية وتعالى نعيش فى دنيا الحب والأمل ، دنيا الغرام والقبل ، وهنا مد يده وطوق بها كتف جيهان فرفعت يده فى رفق وقالت له :

ـ لا يا مدحت لاداعى لهذا ، لنتكلم كثيرا عن الحب ، ولنتأمل هذه اللحظات الحلوة التى نسرقها ممن حولنا .

ـ ان الكلام مهما كثر عن الحب فلن يستطيع تصويره أو التعبير عنه وان التأمل فى لحظاتنا هذه لن يزيدنا الا لوعة على انقضائها وحزنا لفقدانها ، وإن قبلة يقتنصها الحبيب من حبيبته ، أو ضمة ينتزعها منها لأقوى تعبيرا عن الحب من سفر بأكمله ، ثم من يديه وطوق بهما كتفى جيهان وضمها اليه وقبلها. فنزعت نفسها من فوق صدره واستوت جالسة بجانبه ونظرت إليه غاضبة فى رضا ، ثائرة فى هدوء ، ساخطة فى عطف ثم قالت له فى شدة لينة :

ـ ما كنت أود أن يدفع بنا الحب الى ما صنعت ولا أن يصل بنا الأمر الى تلك الجرأة المباغتة فلست أظن أن الذى حدث قد آن أوانه بعد ، ولكن ماذا أصنع معك يا مدحت وأنت تتعجل الأمور وتسبق الاحداث ، ثم رجته أن يعود بها الى الفيلا وأسرعت جيهان اليها وقد نسيت حقيبة كتبها فى السيارة ، وصعدت السلم وأسرعت الى حجرة خالتها فسلمت عليها ثم سألتها خالتها :

ـ كيف حال المذاكرة يا جيهان ؟

ـ حسنة يا طنط وصديقتى تحب أن تذاكر كثيرا ، وتحب القبل كثيرا .

ـ أى قبل يا جيهان ؟

ـ تقبيل الكتب يا طنط وكانت تصر على أن أبقى معها مدة طويلة ولكننى خشيت أن حضرتك تشغلين علي ففضلت أن أعود بسرعة .

ـ وهل ستذهبين اليها مرة ثانية ؟

ـ والله ياطنط أنا أتمنى أن أراها كل يوم وأذاكر معها كل لحظة لأنى أشعر أثناء وجودى معها بمتعة .

ـ أى متعة يا جيهان ؟

ـ متعة المذاكرة والبحث فى الكتب .

ـ أنت وما تريدين يا بنتى ، وما دمت مستريحة لها فأنا لا أمانع فى ذهابك إليها عندما تشائين .

ـ أشكرك يا طنط .

ـ لكن أين حقيبة كتبك ياجيهان ؟

ـ حقيبة كتبي !! صحيح ، أين هى ؟ ! ربما تكون على المكتب ! !

ـ لقد أخذتها معك ولم تعودى بها .

ـ أين هى ؟ ! أين هى ؟ ! آه نسيتها عند صديقتى وإن شاء الله غدا أحضرها معى . . .

ثم انصرفت جيهان الى حجرتها وأخذت تفكر فيما حدث بينها وبين مدحت ، وتستعرض أمامها تلك الصورة الحلوة الممتعة لتلك النزهة الغرامية القصيرة ، وكأنها تتحسس ذلك الصدر الذى ضمت اليه ، وتحس بالحرارة تسرى فى جسدها من جديد وتمنى لو أن سيارة مدحت عادت أدراجها ثم ركبت فيها لتعيد ما فات وتستعيد ما حـــدث ، وانتظرت بصبر نافد وقلب معنى ، أن يتكلم مدحت فى التليفون يضرب لها موعدا جديدا يلتقيان فيه ويسعدان به وبعد فترة قصيرة دق جرس التليفون ورفعت جيهان السماعة فعرفت أن المتحدث مدحت ووجدت خالتها قريبة منها فقالت .

ـ آلو أهلا مديحة .

ـ أهلا جيجى .

ـ أريد أن أطمئن على وصولك بالسلامة .

ـ شكرا وطنط لا مانع عندها من أننا نذا كرمعا بعض الأحيان .

ـ نريد المذا كرة معا باستمرار .

ـ سوف أخبرها بذلك وهى قريبة منى الآن وتسمع ردى عليك يا مديحة وهنا قالت خالتها :

ـ بلغى صديقتك سلامى ياجيهان ،

ـ حاضر يا طنط .

ثم تقول جيهان :

ـ ان خالتى تسلم عليك يامدحة ومتى نلتقى ؟

ـ قريبا جدا .

ثم انتهت المكالمة التليفونية . .

وكثرت المقابلات بين جيهان ومدحت وعلق كل منهما صاحبه ، وانصرفت جيهان إلى مدحت بقلبها وعاطفتها وحاولت أن تحتفظ بجسدها فقد وجد قلبها المتفتح فى حب مدحت ما شغله وملأ جوانبه ووجدت عاطفتها فى حب مدحت ما ألهبها ووجد جسدها فى مدحت ما كان فى حاجة إليه نعم لقد وجدت جيهان فى حرارة ذلك الجسد ما جعل دمها يتدفق فى عروقها وما جعل الحرارة ترتفع فى جسدها وكانت تجد فى تدفق ذلك الدم وارتفاع تلك الحرارة نوعا من النشوة لم تكن تشعر بها من قبل ومع ذلك فقد رأت أن تقاوم ذلك الاحساس الجسدى ما استطاعت ولقد كان فى هذا الحب ما شغلها عن المدرسة والدراسة وكانت تجلس فى الفصل بجسدها شاردة مذهولة أو كالمذهولة، لا تكاد تعى من الكلام الذى يقذف به السادة المدرسون والمدرسات إلا القليل النادر حتى ذلك النادر القليل لا يكاد يصل سمعها حتى تنساه وشكت بعض المدرسات إلى ناظرة المدرسة إهمال جيهان لواجباتها ، فأرسلت الناظرة إليها وسألتها.

ـ الشكوى من إهمالك ياجيهان كثيرة فى هذه الايام ، فما السبب ؟

ـ لاشيء .

ـ لقد كنت مثالا للتلميذه المجتهدة المؤدبة فلماذا أهملت فى دراستك وفى واجباتك ؟

فلم تجد جيهان ما تدافع به عن نفسها ولكنها حاولت التخلص من ذلك

الموقف بدموعها التى أرسلتها ، والمرأة إذا حزبها أمر أو تأزم بها موقف أرسلت دموعها .

ـ وما أطوع دموع المرأة لها ـ تستدر بها العطف أو تبعد بها عن نفسها اللوم ، وقد جعلت الناظرة تخفف عن جيهان ثم طلبت منها ان تنصرف الى فصلها وأن تعني بدروسها حتى تستعيد سيرتها الاولى وتحتل مكاناتها السابقة فى نفوس المدرسين والمدرسات على السواء ، وقررت الناظرة أن تشرك البيت معها فى البحث عن تلك المشكلة ومعرفة أسبابها والدوافع إليها ، وقد يكون فى ذلك التعاون بين المدرسة والبيت الحل الملائم لها ، ولذلك قررت الاتصال بخالة جيهان تطلب اليها الحضور الى المدرسة . . وقد أسرعت الخالة بالذهاب الى المدرسة تلبية لدعوة الناظرة واطلعت على الشكايات الكثيرة التى قدمها بعض المدرسين والمدرسات وكلها تتفق على أمر واحد وهو أن جيهان أصبحت مهملة فى واجباتها ، مقصرة فى أعمالها منصرفة عن الدراسة والمدرسة .

فعجبت الخالة كل العجب ودهشت لهذا الذى تسمع ، وذكرت للناظرة أن جيهان تذاكر دروسها فى غرفة مكتبها وهى مغلقة عليها أحيانا كثيرة ، وتذاكر مع صديقتها احيانا أخرى ، ثم تعهدت أول الامر أمام الناظرة بأنها سوف تمنعها من الذهاب الى صديقتها هذه وتحتم عليها المذاكرة فى حجرة مكتبتها بالفيلا ، فاذا ما عادت جيهان سيرتها الاولى من الاجتهاد والتفوق فقد قضى الامر ، واذا لم يكن ذلك فسوف تتصل بوالديها فى العزبة ليتخذا فى الامر رأيا قاطعا ، ويقضيا فيه بما يريان ، ولم تشأ الخالة أن تجرح كبرياء جيهان ولا أن تمس (ارستقراطيتها)

ولو مسا يسيرا أمام الناظرة فلم ترسل اليها ولم تناقشها الحساب أمامها وآثرت أن تترك ذلك الى حيث تجتمعان فى الفيلا .

ولما تحدثت الخالة مع جيهان فيما ذهبت من أجـــله الى المدرسة نفت جيهان ماذكرته عنها الناظرة ، وأخبرت خالتها . أنها ليست على الصورة البشعة من الاهمال التى صورتها بها الناظرة وأنها اذا قصرت مرة فى بعض الدروس فليس ذلك بالحجة القاطعة على الاهمال الشامل والتقصير الشديد كما زعمت الناظرة .

ورضيت الخالة بما سمعت من جيهان وارتاحت نفسها إليه ، وأطمأن قلبها وحاولت أن تبرر تلك الحملة التى لمستها من حـــديث النـاظرة عن جيهان بأنها تجمع لها الثراء الواسع العريض ، والجاه الذائع ، والجمال الساحر الرائع ، وقل أن يجتمع ذلك كله لفتاة غيرها فى المدرسة فاذا ما أضيف إلى ذلك (حسب ظنها عن جيهان) ـ عزوفها عن الاختلاط ، وانصرافها عما يشغل غيرها من لهو الشباب وعبثه فان ذلك كله يؤيد أن سبب تلك الحملة التى أعلنها المدرسون والمدرسات وانضمت إليهم الناظرة هو الحقد الذى ملأ نفوسهم ، والغيرة التى كادت تأكل قلوبهم . . .

أما جيهان فقد فكرت مليا فيما حدث فوجدت أن عوامل كثيرة بدأت تستعد للمعركة الفاصلة فى حبها الجديد وغرامها الناشىء ، وأحست بأن قلبها مقبل على اختبار رهيب ، فاما أن ينتصر فيه لحبه ويعيش حيا كقلوب العشاق من البشر ويسعد بالعاطفة تملأ جوانبه ويظل متفتحا لذلك النسيم الذى ينشعه ومنشرحا لذلك الحب وهذا الحبيب ، وإما أن يتراجع أمام تلك السحب القاتمة التى بدأت تعد نفسها للفتك به والقضاء عليه .

فكرت جيهان فى خالتها وأنها قد تعلم أمر هذا الحب يوماما . ثم فكرت فى أبويها وأنهما قـــد يعلمان به كذلك ، وفكرت قبل ذلك فى زميلاتها والناظرة والمدرسات وأن الخبر قد ينتشر بينهن فماذا يكون موقفها من هؤلاء جميعا اذا فشا من حبها مالا تحب إفشاءه وهبها استطاعت أن تخدع خالتها وأن تضللها فترة من الزمن فهل تستطيع أن تخدع أبويها ثم هل تستطيع أن تبرر موقفها أمام خالتها وأمام أخيها ثروت إذا علم كل منهما بالأمر ؟ !

هل تتراجع ؟ ! ! اهل تنكبت عاطفتها ، وتحطم قلبها وتطفىء شعلة شبابها وهى بذلك تصارع طبيعة الشباب وتقـــاوم مستلزماته فترضى بذلك الناظرة والمدرسات والزميلات ويستمر رضا خالتها عنها أيضا ، وتحتفظ بتقـــدير والديها وأخيها ، أو تستجيب لنداء قلبها وتلبى طبيعة شبابها وتندفـــع وراء عاطفتها وتظل تحب مدحت لأنها لاتريد لنفسها أن تكون حجرا صلدا كما قال الشاعر العربى

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى .·. فكن حجرا صلداً يدق به النوى

ثم هبها اختارت البعد عن تيار الحب فهل ذلك فى استطاعتها ؟ وهل هى تطيق عليه صبرا ؟ أغلب الظن أنها لن تستطيع ، فالحب غريزة الاحياء من البشر أنه كأس لابد أن يشرب منها كل إنسان ، وكل ماهنالك أن الناس يختلفون فى ذلك القدر الذى يشربون فمنهم من يكفيه من الكأس رشفة ، ومنهم من يشربها حتى الثمالة ومنهم من يطيب له الشراب فيعب الكأس عبا ، ومنهم من يتجرعه ولايكاد يسيغه فيكفيه من الكأس القليل ، والمهم أن الناس جميعا لابد أن يشربوا ،

وإذا فلتمض جيهان فى طريق الحب ولتسر فى تلك السبيل فقد اختبرت فيها

الورود والرياحين وإن حفت بها الأشواك ، ثم مالها وللأشواك ، إنها لاتحب أن تراها إنها تريد أن ترى إكليل الندى فوق الأزهار ، إنها تريد أن تنشق عبيرها وأن يعطرها شذاها وأن ترى فى نضرتها نضرة شبابها ، وفى فتنتها سحر جمالها وهكذا قررت جيهان الانتصار لحبها ثم تناولت القلم وكتبت لمدحت الرسالة التالية:

عزيزى مدحت :

اكتب إليك وما كان لى أن أسارع بالكتابة على هذه الصورة فاننا مازلنا نحبو على الدرج الأول من سلم الحب الصاعد ، ولكننى أحسست وأنا أقف معك على هـــذا الدرج أنه لا بد لى من أن أصعد معك حتى النهاية . لا بد أن نصعد دون أن نلتفت إلى المهاوى الخطرة على جوانب السلم ، نصعد على هـذا السلم روحين متحابين ، وقلبين متآلفين ، وجسدين متباعدين ، حتى إذا وصل بنا الصعود إلى نهاية الدرج توجناه بما يجب أن يتوج به من خاتمة شريفة ، ونهاية عفيفة . أرجو يا مدحت أن تقرأ رسالتى أكثر من مرة فقد أوضحت فيها رأيى فى الحب الذى وجدت نفسى مدفوعة اليه دفعاً ، ومسوقة إليه سوقاً .

ولك تحياتى ؟

جيهان . .

قرأ مدحت رسالة جيهان . وعرف منها رأيها فى الحب الذى يربطهما وراقه أنه تأكد من حبها له ، وإقبالها عليه ، ولكنه لم يعجبه أنها تتصور الحب عذريا أو عفيفا كذلك اللون الذى انتشر أيام بنى أميه وتزعمه قيس وجميل وكثير

وأضرابهم لم يعجبه ذلك من جيهان فهو يرى أن ذلك الحب العفيف لم يعد له وجود بين الناس فى أيامنا هذه ، بل لعله لم يكن له وجود اطلاقا فى يوم من الأيام ، واذا ادعى قيس وجميل وأمثالهما بأن حبهم كان عفيفا فليس ذلك الا لان الظروف أرغمتهم على ذلك اللون ارغاما ، ولو التقى كل منهم بمن أحبها لقاء يوده ويرتضيه فمن يدرى ؟ لعله كان يضرب بالعفة عرض الحائط والا فما اللبانة التى يعنيها الشاعر فى قوله ؟

فياليت كل اثنين بينهما هوى ∴ من الناس والأنعام يلتقيان
فيقضى حبيب من حبيب لبانة ∴ ويرعاهما ربى فلا يريان

إنه يرى الحب استجابة لنداء الجسد أولا وقبل كل شىء ، وهو لذلك سوف يستجيب لذلك النداء فى حبه لجيهان مهما كلفه الأمر ومهما كان الثمن .

وفكر فى الرد على جيهان ، ولكنه لم يكتب رسالة يرد بها وانما وضع خطة بنفسها ودبر لها أمراً بليل كما يقال .

فأدار رقم تليفون الفيلا المطلة على شارع الجعفرية ، وردت عليه جيهان ورجاها أن يلتقيا بعد غد فى نفس المكان الذى التقيا فية أول مرة وفى الموعد نفسه ، وسوف تجد السيارة ذات اللون الاحمر وسوف تجده جالسا الى عجلة القيادة . واستجابت جيهان لتلك الدعوة ووافقت على الموعد ، ولما حان استأذنت خالتها للذهاب الى صديقتها لتذاكر معها ، ولكن خالتها رفضت أول الامر فأخذت جيهان تبين لها أهمية الدروس التى سوف تذاكرها مع صديقتها مديحة ورجتها أن تسمح لها .

وفى الموعد المحدد ذهبت الى شارع النـادى قريبـا من نادى طنطا الرياضى فوجدت السيارة الحمراء وفتح لهـا البـاب فركبت بجوار مدحت وانطلقت بهما السيارة تتهادى حينا وتسرع حينا آخر ثم سألت جيهان :

ـ أين تقصد يا مدحت ؟

ـ إلى مكان سوف تعجبين منه وتستريحين اليه . .

ـ أين ذلك المـكان ؟

ـ إنه منزلى ياأعز مخلوق فى الوجود .

ـ منزلك ؟ ! وكيف نذهب اليه الآن ؟

ـ وأى غرابة فى ذلك ؟

ـ من فضلك لاداعى لأن نذهب الى منزلك .

ـ ليس به أحد ، وكل ماأريده أن يسعد المنزل بزيارتك وأن نجلس فيه بعيدين عن أعين الرقباء نتجاذب أطراف الحـــديث ويصور كل منا لصاحبه لوعته وشدة حبه وهيامه ، وما أحلى الحبيبين يجتمعان فى خـــلوة من الناس وما أعذب حديثهما عن الحب ، انه يستعرض الماضى الحبيب ويعيش فى الحاضر الممتع وينفذ الى المستقبل الباسم المشرق .

ـ وهل كل ذلك لايتم الا فى خلوتنا معا فى منزلك ؟

ـ لاشيء فى ذلك ياجيهان .

ـ انى لا أقر الذهاب الى منزلك يامدحت ، فقد تنبعث منه الشرارة التى

تحرق ذلك الحب وتحيله الى رماد تذروه الرياح ، وهى لن تذهب به الى النسيان بل تبقى لنا منه دموع الحسرة والندم . فاعدل بنا الى مكان آخر لايغلق علينا فيه باب . عرج بنا يامدحت الى مكان آخر غير منزلك ، فليس لى فيه غاية أو أرب ، وتذكر ماكتبته لك فى رسالتى التى وصلتك أننا لابد أن نصعد معا درج السلم حتى النهاية شريطة أن تكون نهاية شريفة عفيفة .

وهزت كلمات جيهان قلب مدحت هزا عنيفا فأعادته الى صوابه وكان كمن استتر بظلام الليل وهم بارتكاب اثم فاذا به يسمع آذان الفجر فيمس الأذان شغاف قلبه وتهز التكبيرة جوانب نفسه فيرجع عما هم به ، فاستجاب لجيهان وعدل عن الذهاب الى المنزل وقضيا معا نزهة طيبة قصيرة ، ثم عاد بها وأنزلها قريبا من الفيلا .

وهكذا استطاعت جيهان فى موقفها الرائع أن تثبت أن المرأة الحازمة تستطيع أن ترد عن نفسها كيد الشباب ، وأن الفتاة العاقلة تستطيع أن تحفظ نفسها وشرفها وان أحاطت بها الذئاب البشرية المسعورة .

عاد مدحت الى منزله وهو فى حالة لايحسد عليها فقد فشل فيما فكر وقدر ، وأخفق فيما كاد ودبر ، وكانت حيوانيته قد عادت اليه فى شىء من العنف ، وتسلطت عليه تسلطاً شديدا واستبدت به ، فعاد يدبر ويحيك خيوط المؤامرة ، ويرسم خطوط المغامرة ، ثم وجد الثغرة التى ينفذ منها الى جسم جيهان . وجد العصا التى تلقف كل مقاومة منها ، وتجعلها تسلم نفسها اليه تجذبها خيوط الأمل ويغريها بريق الأمانى فكتب لها تلك الرسالة :

عزيزتى جيهان :

لشد ما أنا معجب بهذا الموقف الذى كان منك ، وبهذا الاصرار الحازم الذى بدا عليك ، ورفضك القاطع أن تذهبي إلى منزلى، وقد زادنى ذلك حبا لك ، واعجابا بك واصرارا على تحقيق تلك النهاية الشريفة العفيفة التى أشرت اليها فى رسالتك إلى ، ولعل الكتابة لا تتسع للافاضة فى تفاصيل تلك النهـــاية التى أريدها ومن ثم أرجو أن تتقابل بعــد غد فى الساعة الخامسة بعــد الظهر فى نفس المكان وسوف أنتظرك فى نفس السيــارة . ولك يا عزيزتى قلبى وروحى وحيــاتى ما ؟

مدحت . .

قرأت جيهان الرسالة فأعجبها ذلك التعديل فى سلوك مدحت معها ، وراقها ذلك التحول العجيب فى علاقته بهــا ، فهو يتعجل النهاية الشريفة التى ذكرتها ذات مرة فى رسالتهــا له وقالت : ــ ما الذى يمنعنى اذاً أن أقره على ذلك ؟ وأى فتاة ترفض مثل ذلك الحديث ؟ ان حديث الحبيبين عن الزواج وهما يتجهان اليه قد يــكون أحلى وأمتع من الزواج نفسه ، وان الأمانى العذاب التى يتصوران عليها الزواج قد تــكون أجمل منه ، وان الشموع التى يعيش الحبيبان فى ضوئها قبل الزواج قــد تصير محرقة اذا أصبح حقيقة واقعة ، وهــكذا قررت جيهان الموافقة على الموعد ، ورأت أن تتم المقابلة ، ولــكن حياء الأنثى وكبرياءها منعها ان تبدأ الاتصال بمدحت تبلغه موافقتها وانتظرت محاولته معرفة رأيها فى الموعد ولعلها أرادت أيضاً أن تستوثق من حرصه على موعده الذى ضربه، واهتمامه بذلك

اللقاء الذى اراده ، ثم دق جرس التليفون فى الفيلا المطلة على شارع الجعفرية وكان المتحدث مدحت فأجابته جيهان بأنها ستلتقى به فى الموعد الذى اراده .

* * *

فى الحديقة العامة القريبة من قحافة انتحى مدحت مع جيهان جانبا منها وفى ظل شجرة من أشجارها اتخذ كل منها مقعده وقد انتثرت امامهما بعض الأزهار فى غير تنسيق جميل شأن الكثير من الحدائق العامة فلم تكن تلقى من العناية والرعاية ما هى جديرة به ، وجلسا صامتين بعض الوقت ينظر كل منهما الى صاحبه حينا ثم يتصنع الاشتغال بالأزهار والظلال حينا آخر ، ثم بدأ مدحت الحديث :

ــ لا أظنك تشكين فى حبى لك ياجيهان فقد ملأ حياتى وشغل جوانب نفسى وملك علىّ قلبى .

ــ أرجو لن يكون الأمر بيننا على ماذكرت .

ــ هو ذاك ياعزيزتى واكثر منه ولقد فكرت فى حبنا طويلا واتضحت لقلبى نظرتك اليه انك تريد ينه حبا يلهب العاطفة، ويضرم ناره فى القلب ثم يصل بنا الى الغاية ويدفعنا الى نهاية الشوط حيث ترفرف علينا ظلال السعادة الزوجية وتشدو الحياة من حولنا لحن الوفاء للحب والاستجابة لنداء القلب ، ولست أشك لحظة ولا أخالك تشكين فى أن العين التى تنظرين بهــــا الى الحب والزاوية التى تنفذين منها اليه هى نفس العين التى أنظر بها ونفس الزاوية التى أنفذ منها ، وعلى الرغم من أن دراستى الجامعية لن تنتهى الا بعد عامين فانى اخذت الامر بماهو جدير به وقررت أن تكونى لى ، وقد يخطر ببالك الآن أن زواجنا يحتاج إلى

مال كثير وأطمئنك ياعزيزتى فلدى من المال مقدار وفير ، وكثير من الشباب يرون أن الزواج عائق عن الدراسة وعقبة فى سبيل مجدهم العلمى ، وحجتهم فى ذلك كثرة مشاغله ، وتعدد التزاماته ولست معهم فيما يرون فان الزوجة تستطيع أن تدفع زوجها الى الامام دفعا ، تيسر له المسير وتهون عليه الصعب ، وتخفف عنه الضيق وتجعل حياته حلقات متصلة من الاستقرار النفسى والصفاء الذهنى والتفكير المثمر المنتج ثم هى ريحانة يجد المتعة فى أنفاسها والروعة فى نضارتها إنها النفس التى خلقت للرجل ليسكن اليها فيجد فيها الحرم الآمن ، والظل الوارف والسقيا على الظمأ والشبع على السغب . ووقعت كلمات مدحت على قلب جيهان بردا سلاما وصادفت منها هوى الح عليها ورغبة طالما استبدت بها وإن أخفتها ثم أخذت تعبث بأناملها فى شعرها حينا وتتأمل الأزهار أمامها حينا آخر وتختلس نظرة الى عينى مدحت بعد ذلك ثم قالت فى صوت خفيض :

ـ أتظن يامدحت أن أمر الزواج يقضى فيه بيننا على حدة وبهذه السرعة ؟

ـ أعلم أنك ستذكرين ابويك واخاك وخالتك . . . الخ لكن انت بيت القصيد كما يقولون وأنت التى يحفل بما تقضين به فى هذا الامر ، ويعمل لرأيك حساب واى حساب . .

ـ دعنى افكر فى الأمر يامدحت، ولا تعجل،ولن يستغرق تفكيرى فيه وقتا طويلا ! وبعد مدة عادت جيهان الى الفيلا المطلة على شارع الجعفرية ثم احست بقلبها يزداد تعلقا بمدحت واقبالا عليه ، ورأت فيه فتى احلامها ؛ ورجل حياتها وغاية أمانيها ولم تعد بعد ذلك تشغل بأمر من أمور حياتها إلا بما يتصل بحب

مدحت ، فالمدرسة عندها أصبحت مجرد بناء ثقل ظله وقبح منظره ، تقتحمه عينها وتضيق به نفسها ، وذهابها إليها يكاد يكون آليا أوشبه آلى ، وهى تجلس فى الفصل شاردة اللب ، مشتتة الفكر لايهمها فى شيء أن تفهم مايقال فى الفصل . ولا يهمها أن يعرف المدرسون والمدرسات إهمالها الذى يزداد يوما بعد يوم ثم ما غايتها من الدراسة ؟ واذا درست زميلاتها ابتغاء الوظيفة ، فما حاجتها هى الى الوظيفة ؟ ان مال أبيها كثير ، وثراء أبيها واسع عريض ، واذا كانت الشهادات الدراسية تضفى على حامليها شيئا من نباهة الذكر وبعضا من رفعة الجاه فما حاجتها إلى ذلك كله ولها من جاه أبيها ونباهة ذكره ما يغنيها وهكذا اتجهت جيهان بتفكيرها وهكذا أخذت تنظر إلى أمور حياتها ، وهكذا استحوذ حب مدحت على قلبها .

وفى مساء يوم الخميس دق جرس التليفون فى الفيلا فأسرعت جيهان إلى السماعة ورفعتها ووجدت المتحدث مدحت :

ـ آلو . . .

ـ الو . . أنا مدحت أنا منتظرك الآن فى السيارة قريبا من باب النادى

ـ سأحاول أن أحضر فى سرعة ولم يشق على جيهان الخروج هذه المرة فان خالتها كانت فى زيارة بعض قريباتها اللائى يقمن فى منزل بعيد .

وبعد قليل كانت تجلس بجوار مدحت فى السيارة وانتبهت اليه يقول لها :

ـ لدى تفاصيل كثيرة هذه المرة أريد أن أفضى بها إليك .

ـ ليس لدى ما يمنع من الاستماع إلليها كاملة فى إفاضة وتطويل .

ـ أى مكان تختارين ؟

ـ المكان الذى يروقك

ـ منزلى

ـ منزلك . . منزلك . . .

ـ لاشيء فى ذلك يا جيهان ألم نصبح خطيبين ؟

ـ خطيبان فيما بيننا فقط ؛ لـكن لا يعلم أحد عن تلك الخطبة شيئا .

ـ وما الذى يهمنا من النـــاس ؟ فصمتت جيهان بعض الوقت ، واعتبر مدحت ذلك السـكوت موافقة على الاقتراح ، ثم وقفت السيارة أمام مـــنزله ودخلاه مسرعين وأغلق مدحت الباب . لم يـكن بالمنزل أحد ، فقـــد أرسل مدحت خادمه إلى السينما وأمره ألا يعود إلى المنزل إلا بعـد الساعة الحـــادية عشرة مساء .

وارتدى مدحت ملابس المنزل وكأنه أحس من جيهان بعض التحرج لهذا ولمح على أسارير وجهها ، بعض التخوف فذكر لها أنه أراد أن يتخفف من لبس (البدلة) بعض الوقت ، ثم جلس بجانبها على أريكة واحدة وأخذ يحييها أول الأمر:

ـ أهلا . أهلا إنه شرف عظيم لمنزلى أن حظى بزيارتك ياعزيزتى .

ـ أشـكرك .

ثم بدأ الدم يحتقن فى وجه مدحت وبدأ كل عصب من أعصابه ينبض فى شدة وقوة وكأن ذاكرته فقدت كل شيء إلا ذلك الجسد الذى أمامه إنه يريد أن

يشبع حيوانيته منه ، أنه يريد أن يحطم تلك الحواجز التى تحول بينه وبين ذلك الجسد ، إنه يريد أن يلتهمه التهاما وأن يستمتع بكل جارحه من جوارح المتعة فيه ، فمد ذراعيه وطوق بهما كتفى جيهان وضمها إلى صدره فى سرعة خاطفة فاستسلمت له قليلا ، ثم نزعت نفسها من فوق صدره ، وهمت واقفة تريد أن تفلت من تلك المتعة المخيفة واللذة المفزعة ولكنه كان أسرع منها فمد ذراعيه مرة أخرى وضمها ثم أخذ يعبث بكفه فى شعرها ثم دس تلك الكف بين ثيابها كأنه يحاول انتزاع نهديها من فوق عرشهما العالى فأصبحت جثة فيها نصف روح ثم انقض عليها كالذئب المسعور . .

* * *

لم يتصل مدحت بجيهان ومضت مدة لم تسمع فيها صوته ولم تتلق منه موعداً يتقابلان فيه وأحست جيهان بما تحس به فتاة غرر بها حتى صدمتها الحقيقة المؤلمة والواقع المرير وحطم تاجها فوق صخرة الخداع والتضليل ونكس علم كرامتها على طريق الحسرة والندم .

أصبحت يائسة اوكاليائسة والظروف من حولها تزداد قسوة عليها حتى صارت الدنيا فى وجهها اضيق من سم الخياط ، وبدت الفيلا المطلة على شارع الجعفرية سجنا تلقى بنفسها فى حجرة من حجراته اذا اقبل المساء وتطيل النظر الى سقفها وجدرانها إذا أقبل الصبح . وإذا ذهبت إلى المدرسة فهى لا تعى شيئا مما حولها إلا كما يعى المذهول يثوب إليه عقله حينا ثم يغيب عنه أحيانا ، ولم تجد توسلات خالتها ونصحها لها بأن تهتم بدروسها وبنفسها ، لم يجد ذلك النصح إلى قلبها سبيلا ، وشتان بين أحساس كل منهما ، فالخالة لا تعرف شيئا عن تلك النهاية

المبكية التى دبرتها الأقدار لجيهان ، ثم هى لا تعرف شيئا عما يدور فى ذهنها ، وجيهان نفسها لم تكن تدرى ماذا تفعل ، ولا كيف تتصرف ، فالمصيبة أكبر من عقلها ولكن ذلك لم يمنعها من التفكير فيها . .

هل تنتحر لتستريح من تلك الحياة المميتة القاتلة ؟ ومن حمل تلك الفاجعة التى أحست أنها حملتها وحدها ، وما قيمة الحياة بالنسبة لها ، ومن قال ان لها ولمثيلاتها من الاثمات حياة ؟ . . لقد خيل إليها أن كل من تلقاه يعرف سقطتها ، وأن كل نظرة توجه إليها إنما هى نظرة ساخرة ، وطعنة قاتلة حتى سائق السيارة كأنه لم يعد يكن لها التوقير الذى كانت تلمسه من قبل، وإلا فكيف تفسر تثاقله إذا هم بفتح باب السيارة لها لتركب أو لتنزل منها ! ! ! وخالتها !! ماخطبها كأنها تنظر اليها شزرا ؟ واذا حدثتها كأنها تنتزع كلماتها انتزاعا وكأن أسارير وجهها تخفى وراءها أمرا ، وأشجار الحديقة فى الفيلا يتمايل بعضها على بعض كأن كل شجرة تفضى الى أختها حديثا عنها، وتغريد الطيور الذى تسمعه كأنه لحن حزين يشيع به ميت الى لحده .

ثم أليس الانتحار هو المنقذ لها من كل ذلك ؟ ! ! ولكن لم لا تتريث بعض الوقت ولم لا تحاول ترويض ذلك الذئب لعله يكفر عن خطيئته؟ لقد وعدها بالزواج منها وأكد لها حرصه عليه وهو لا بد أن يفى بوعده فى سرعة عاجله ، ومن ثم اتصلت جيهان بمدحت تليفونيا :

ــ آلو . . .

ــ من حضرتك ؟

ـ من أنت ؟

ـ من فضلك من حضرتك ؟

ـ أنا مدحت .

ـ وأنا جيهان .

ـ من جيهان ؟

ـ جيهان التى عرفتها والتى تحبها من كل قلبك كما ذكرت .

ـ أوه . . . أنا آسف ياجيهان وبماذا تأمرين؟

ـ أريد أن أقابلك اليوم .

ـ ضرورى أن تكون المقابلة اليوم ؟

ـ نعم ضرورى .

ـ ألا يمكن تأجيلها لموعد آخر لأنى مشغول اليوم؟

واضطرت جيهان إلى الانتظار ، وفى اليوم التالى اتصلت به وألحت عليه فى المقابلة فوافق بعد لأى . . .

وتقابلا ، ونظرت إليه جيهان وقلبها يكاد يتميز من الغيظ وعنياها يكاد الشرر يتطاير منهما ، نظرت إليه وتمنت لو أن صاعقة من السماء أصابته فمزقته كل ممزق أو لو أن إعصارا شديداً أو ريحا صرصرا عاتية هبت فحملته ثم ألقت به فى قاع المحيط تلتقمه حيتانه أو فى جوف الفلاه حيث يكون جزر سباعها ونسورها أو فوق قمة جبل شاهق فيتحطم رأسه ويتمزق جسده ويتطاير أشلاء . .

ولكنها حاولت أن تخفى ذلك عنه فان إظهاره قد يفسد عليها الوصول إلى غايتها وتظاهرت بأنها مازالت تحفظ له شيئا من الود، وتحمل فى قلبها حبه ثم قالت له :

ـ يظهر أن مشاغلك كثرت فى هذه الأيام .

ـ نعم كثرت جـــدا

ـ ولهذا لم تتصل بى منذ وقت طويل .

ـ نعـــم .

ـ ولكن مشاغلك الكثيرة أعتقد أنها لن تمنعك من الوفاء بوعدك ! !

ـ أى وعد ؟

ـ أنسيته بهذه السرعة ؟

ـ أرجوك لاداعى إلى هذا الأسلوب . . . . وذكرينى بالوعد .

ـ وعدك بالزواج منى .

ـ آه . . . الزواج . . . الزواج . ثم سكت طويلا فقالت له :

ـ مالك سكت ؟

ـ هل أنت مصرة على معرفة رأيى فى هذا الوعد ؟

ـ نعـــم

ـ والله أنا أرى أنه لاداعى لانجازه فإن كان لابد من الوفاء به فلا يمكن إلا بعد تخرجى من الكلية .

ـ تعنى بعد عامين .

ـ بعد عامين على الاقل .

ـ وهل تظن أننى أستطيع الانتظار ؟

ـ أنت وما تشائين .

ـ إن الذى أريده هو الزواج منك وفاء بوعدك . .

ـ قلت لاسبيل إليه الآن فانى أعتقد أن المرأة بالنسبة للطالب حجر عثرة فى مواصلة دراسته

ـ ومتى اعتنقت هذا الرأى الجديد ؟ ! !

ـ بعد أن فكرت تفكيرا سليما ، وقد هدانى تفكيرى الى ماقررته .

ـ يخيل الى أنك تحاول التنصل بذلك من وعدك .

ـ ليس فى الامر تنصل ، وإنما هو رأى اقتنعت به ولن أعدل عنه

ـ ان رأيك هـذا سوف يحطم فتاة أنت الذى وضعت أول مسمار فى نعشها وسوف يسيء الى أسرة كريمة ما كان أغناها عن تلك الاساءة .

ـ أعتقد أنه لاداعى للأخذ والرد كثيرا فى هذا الأمر ، وقد قلت إننى لن أعدل عن رأيى .

ـ تذكر أن لجريمتك أثرها المشين .

ـ ماذا تعنين ؟

انك تعلم تماما ماأعنى .

ـ على أية حال . لست السبب فى ذلك .

ـ والآن يسمح لك ضميرك بما تقول . أرجو ان تتدبر الموقف وتقدر العواقب الوخيمة . أرجوك أن تنقذنى مما سوف أتردى فيه ، أرجوك أن تستر عارا سوف يزداد فضيحة مع الأيام ، أرجوك أن تمنح فتاة فى حكم الموتى شيئا من الحياة حتى تدبر لنفسها الميتة التى تريدها جزاء لها ، أرجوك يا مدحت أن تفى بوعدك فى زواجك منى .

ـ لقد قلت لك رأيى ولن أعدل عنه مهما كانت الاسباب .

ـ والآن ترى أن من حقك أن تستأسد علىّ وقد افترستنى ، وأن تتحكم فىّ وقد أذللتنى ، وأن تنفض يدك منى وقد قتلتنى . الآن ترى أن توسيلاتى اليك لغو وهراء وأن رجائى لك نباح وعواء ، وأن الجسد الذى ضرجته بدم جريمتك أصبح عفنا لا يستحق رحمتك ألا لعنة الله عليك وعلى أمثالك من المخادعين الآثمين

ـ أنت الآثمة المجرمة ، واذكرى ان كنت قد نسيت انك أنت التى سعيت الى منزلى ثم تذكرى يا . . . أن حقيبة كتبك عندى فى منزلى . وهنا انفجرت جيهان باكية وقالت له هى منصرفة :

ـ أيها الآثم المجرم ، إنك لن تفلت من عدالة السماء . . .

وعادت جيهان الى منزل خالتها مكدودة منهوكة وفى عينها آثار الدموع وقد حاولت ان تدخل حجرتها مسرعة ، ولكن خالتها دعتها وأخذت تسألها عن سبب إرهاقها فكان جوابها دموعاً غزيرة أرسلتها ، ورعشة عنيفة اعترتها ، واضطرابا شديدا شملها ، ففوجئت خالتها بما شاهدت منها فقامت اليها وأجلستها

بجانبها وربتت على كتفها وأخذت تهدىء من روعها وتخفف من آلامها ثم سألتها عن سبب هذا البكاء ، ولكن جيهان ازدادت فى بكائها وازداد اضطرابها فقررت خالتها أن تتركها بعض الوقت تستريح فى حجرتها ، وبعد ذلك تسألها عن سر هذا الذى تراه وحاولت بعد ذلك جاهدة أن تعرف السبب ، ولكن محاولتها ذهبت أدراج الرياح حيث لم تستطيع جيهان أن تخبر خالتها بحقيقة الأمر الا أن خالتها راقبت تصرفاتها وجسمها وسلوكها المنزلى ، واستطاعت بعد ذلك ان تعرف السر ثم أخذت تسأل جيهان وتضيق عليها الخناق فى الحوار حتى اعترفت لها بالمأساة ! ! ووقع اعتراف جيهان على خالتها كالصاعقة ، وأحست هى الأخرى بحيرة شديدة واضطراب أشد . ان المصيبة أكبر من أن تحتمل وقد دهمت جيهان وهى فى رعايتها ، إنها بنت أختها . ثم لطفى بك وأمها كريمة وأخوها ثروت ، كيف يتلقى كل من هؤلاء تلك الصدمة المذهلة . وهذه الفضيحة النكراء ، ومتى يعرفون النبأ المشئوم ؟ ! ! لقد أحست الخالة بأنها فى دوامة عاتية لا تدرى كيف تنجو منها أو تتغلب عليها أو تتصرف معها ، ثم فكرت وقدرت ورأت أن تتصل بشقيقتها تليفونيا فى العزبة :

ـ آلو . . مين ؟

ـ آلو . . . أنا شقيقتك يا كريمة .

ـ خيرا إن شاء الله .

ـ أرجوك أن تحضرى الى الفيلا فى طنطا فى سرعة عاجلة .

ـ ماذا فى الأمر ؟

ـ المسألة أكبر من الحديث عنها فى التليفون

ـ هـل لك أن تطمئنيني عن السبب فى هـذا الاستدعاء المفاجىء السريع ولو بكلمةواحدة ؟

ـ أرجوك سرعة الحضور وسوف تعرفين كل شىء .

ـ هل أحضر ومعى لطفى بك ؟

ـ لاداعى لاحضاره ، بل لاداعى لأن تخبريه عن اصرارى على سرعةحضورك ولا عليك إذا قلت له إننى ذاهبة لزيارة أختى وابنتى .

ـ سوف احضر إليك بعد قليل .

دخلت كريمه هانم فيلا شقيقتها فاستقبلتها اختها واجمة حزينة كاسفة البال ، وفى نظراتها شرود ، وفى عينيها آثار دموع ، فبادرتها كريمة هانم قائلة :

ـ ماذا فى الأمر ؟أخبرينى بربك ياعزيزتى .

ـ اجلسى يا كريمة ، استريحى قليلا من السفر .

ـ قبل أن أستريح أخبرينى ماذا حدث ؟ ثم أين جيهان ؟

وهنا انفجرت الخالة باكية ، ووقفت كريمة هانم أمام هذا المشهد مذهولة ، لا تـكاد تدرى شيئا مما حولها ونادت فى صوت متهدج : جيهان : جيهان : فلم تجبها جيهان لأنها كانت فى حجرتها التى جعلت منها سجنا تقيم فيه، ولأنها لم تكن تعلم شيئا عن المحادثة التليفونية التى تمت بين خالتها وأمها ، فقامت كريمة هانم من مكانها واندفعت نحو حجرة ابنتها ، وفتحت الباب عليها ، وفوجئت جيهان بأمها ، فأحست بدوار شديد وهى تحاول أن تنظر اليها ، ثم أغمى عليها فوقعت

على الارض ، وهنا صرخت الأم صرخة عالية وكادت هى الاخرى يغشى عليها من هول مارأت ولـكن أختها أخذت بيدها وقادتها الى حجرة أخرى ، وحاولت أن تنبه جيهان ببعض المنبهات ثم عادت الى أختها وجلستا صامتتين بعض الوقت ثم قالت كريمة لأختها :

ـ أخبرينى ماذا حدث ؟

ـ لقد وقعت الـكارثة ، وهذا قضاء الله وقدره ، ويجب علينا أن نستقبلها فى يقظة وحـــــذر ، يجب أن نتدبر العواقب التى قد تترتب عليها لو أننا أخطأنا التصرف ؛ أو جانبنا الصواب . .

ـ بربك كفى هذا . أخبرينى ماذا حدث ؟

ـ لقد سقطت جيهان .

ـ فى المدرسة ؟ !

ـ فى شرفها .

وهنا لطمت الأم خديها ، ودقت صدرها بـكفيها وصرخت صرخة عالية ثم أغمى عليها هى الاخرى ، وأخذت اختها تعمل على تنبيهها فلما افاقت بعض الشىء قالت لها اختها : لنقابل الأمر بما يجب من التدبر والروية والحزم .

وعلم لطفى بك بالطامة التى وقعت لابنته فـكاد يجن ، لقد وجد شرفه يمرغ فى التراب ، ووجد عرضه يلطخ بالوحل ، ووجد كرامته تداس بالنعـــــال ؛ لقد اذلت المصيبة نفسه ، وحطمت كبرياءه ، واذاقته معنى الهوان ؛ ومع ذلك

فقد وجد نفسه مضطرا الى كظم غيظة ، وكبت احساسة ، وكتمان فضيحته ، وستر عاره ، والتظاهر بأن شيئا لم يحدث ، وذهبت به الاوهام كل مذهب ، واستبدت به الوساوس حتى كادت تحطم قلبه ، ماذا يقول الناس عنى لو تسرب الخبر اليهم ؟ ، ان الرائحة سوف تنتشر حتى تكاد تزكم الأنوف .

ومهما تكن عند امرى من خليقة .. وان خالها تخفى على الناس تعلم

ماموقفى أمام الأجراء الكادحين فى العزبة لو تسرب الخبر اليهم؟ والشيخ عبد الصبور الذى قتلت وحيده (حسنا) وشيعته العزبة كلها الى مثواه ، ماذا يقول عنى ؟ إنها الشماتة التى لا حد لها ، انها السخرية التى تملأ قلوبهم جميعا ، ياللحسرة والندامة ! ! ياللبؤس والشقاء !! سعدية بنت منصور وغيرها من بنات العزبة الفقيرات البائسات زفت كل واحدة منهن الى زوجها وتاج شرفها ناصع فوق جبينها ، وجيهان بنت لطفى بك الدلنجاوى تسلب اعز ماتملك ، ويتحطم منها ذلك التاج فى لمح البصر ! !! هل أقتلها ؟ ولكن هل سيمحو القتل عارها ؟ ! ! لا فإن دماءها التى سوف تهدر ستظل ماثلة للأذهان تعلن سبب إهـــــدارها . هل أقتل المجرم مدحت ؟ ! ! وقد يكون فى قتله بعض الثأر للشرف الذى لف فى طمر أسود ثم القى على قارعة الطريق ! ! لا . فإن قتله لن يسكت الألسنة الحداد التى ستسلقنى اذا علمت بالكارثة واذاً فماذا أفعل ؟ ! ! هل أقتل نفسى ؟ لا . فان دمى لن يخفف المصيبة ! ! بل انه سيكون الاطار الأسود لها وخير من ذلك كله أن يتم الزواج بين الاثمين فى سرعة . وقد يضع ذلك الزواج نهاية لابأس بها للمصيبة وبخاصة وأن المجرم واسع الثراء ، ولكن كيف أتصل به ؟ ! وكيف اعرض عليه الأمر ؟ وكيف افاتحه فيه ؟ واين ؟ ومتى ؟ ان الموقف يقتضى أن أتعجل ذلك الاتصال ، وان

يـكون وفى مـكان بعيد عن النـــاس وانى لمضطر ان ابدأ بالاتصال به لاحدد معه موعد المقابلة ومكانهـا ومن ثم ادار لطفى بك ارقاما خاصة فى قرص المسرة ورفع السماعة ودار بينه وبين مدحت الحديث التالى :

ـ آلو : من حضرتك !

ـ أنا مدحت على : من أنت ؟

ـ أنا لطفى بك الدلنجاوى .

ـ من لطفى بك الدلنجاوى ؟

ـ والد جيهان ياسيد مدحت .

ـ ماذا تريد ؟

ـ أريد مقابلتك .

ـ لماذا ؟

ـ لأتحدث معك فى أمر جيهان .

ـ أما جيهان فقد انتهى الأمر بينى وبينها وأما انت فلا اجد مبررا لتلك المقابلة بيننا .

ـ اننى حريص على هذه المقابلة .

ـ أحب ان اعرف السبب بالتفصيل .

ـ سوف أتحدث معك فى امر زواجك من جيهان .

ـ اما الزواج من جيهان فبيني و بينه بعد المشرقين، فأرح نفسك من التفكير فيه فانه لا سبيل اليه .

ـ ولـكن المروءة والشرف والنبل تفرض عليك زواجها .

ـ إن كل ما اعرفه عن المروءة والشرف والنبل انها الفاظ وضعت فى معاجم اللغه ورددها الـكثير من النـــاس اما معناها فلا اعرفه ثم لتعلم يالطفى بك ان الزهرة اذا ذبلت ازورت عنها الاعين ونأت عنها النفوس واعرضت عنها القلوب، فما بالك بزهرة قطفت والقيت على الارض القـــاء ، هل تطلب منى ان انتشلها واعيد إليها الحياة ؟

ـ انك انت الذى اذبلتها وهى لم تـكد تتفتح للحياة ، وانت الذى قطفتها والقيت بها على الارض ، وانت وحدك الذى تستطيع انتشالها ، لا لتعيد اليهـا الحياة بل لتعنيها على التمسك بأهداب الحياة ، وعلى اية حال ارجو ان تتقابل .

ـ دعنى افكر فى الأمر ، ولا مانع عندى من ان تتصل بى مرة اخرى لتعرف رايى النهائى فى شأن المقابلة .

ـ متى تحب أن أتصل بك ؟

ـ بعد يومين على الاقل .

ـ وبعـــد مضى يومـــين اتصل لطـفى بك بمدحت مرة أخرى وحـــدد معه موعدا للمقـابلة ، وتقابلا معـا ، وتمنى لطفى بك لو أن مسدمه

معه فأفرغ رصاصه فى قلب مدحت أو لو أن مدية حادة بيمينه ليقد بها قلبه نصفين ، ويمزق بها جسده شر ممزق ؛ ان قلبه ينبض فى قـوة وسرعة ، وان انفاسه تخرج زفرات ، وان عينه تـكاد تذوب دمعات ، وان نفسه تذهب حسرات ، ولـكنه يتظاهر بالصبر والتعقل والروية فبدأ الحديث مع مدحت :

ـ مارأيك فى زواجك من جيهان ؟

ـ لقد قلت لك رأيى من قبل .

ـ أرجوك أن تعدل عنه وتوافق على الزواج منها ،

ـ ليس من اليسير أن أعدل عنه ...

ـ أننى مستعد أن أجيبك الى كل ماتريد فى سبيل اتمام ذلك الزواج .

ـ خمسون فدانا على الاقل اريدها ثمنا لذلك الزواج .

ـ خمسون فدانا ... خمسون فدانا كاملة .. لا مانع لدى من ذلك .

ـ يكتب عقدها قبل وثيقة الزواج .

ـ لك ما تريد ...

ثم اعلنت خطوبة مدحت لجيهان ابنة لطفى بك الدلنجـــــاوى ، واقيم لتلك المنـاسبة حفل عظيم وكتب عقـد بيع الأرض لمدحت ، وكانت خمسين فدانا كما قرر ..

وجاءت ليلة الزفاف وأقيم حفل آخر وجلست العروس بجانب عريسها والمدعوون يقدمون التهانى ...

أما كريمة هانم أم جيهان فقد كان شعورها عجيباً جدا ، انها لم تشعر بالفرحة التى تشعر بها الام عندما تزف ابنتها الى عريسها ، ان الانوار التى أضيئت فى الحفل كانت فى نظرها كأضواء تلك المصابيح التى تلقيها قاذفات القنابل قبل أن تلقى قنابلها على الارض ، لقد بعثت الانوار فى نفسها الرهبة ، وأثارت فى قلبها الحزن وان اصوات المغنين الذين أحيوا الحفل بغنائهم كانت (كزمارة الانذار) تصك اذنيها بصوتها وترهب قلبها بزئيرها ، ومع ذلك فقد كانت تضحك بشفتيها ، وتتقبل تهانى المدعوات بيديها ، وكانت تنظر الى ابنتها فتتمنى لو ان الارض خسفت بها وبعريسها فابتلعتهما معا كما ابتلعت قارون من قبل وتسمع زغاريد النساء فتتمنى لو انها انقلبت عويلا وصراخا ودموعا فى مأتم ابنتها وعريسها ومع ذلك فقد كانت تحرك لسانها فى فمها احيانا بزغرودة متهدجة خافتة . .

واما لطفى بك فقد جلس يتقبل التهانى من المدعوين ويرد عليهم تحيتهم بيده ولسانه وهو مستغرق فى تفكير عميق واما ثروت فانه كان منشرحا مسرورا بزفاف اخته لأنه لم يكن يعلم عن الأمر شيئا ، فان انصرافه الى ملذاته واغراقه فى شهواته وانقطاعه عن كل ما يعترض طريق استمتاعه بذهبه وشبابه . كل ذلك جعله لا يعلم شيئا عن امر شقيقته . . .

واما جيهان فانها رأت مظاهر الفرح كاللباس الفاخر قد ارتدته دمية من الدمى فهى لا تكاد تحس به ولا تأبه له ، رأتها كالضباب الذى يغطى الحقيقة ، والدخان الذى يخفى سريان النار فى الهشيم ، ومع ذلك فلتمض بها الأقدار الى

النهاية التى تهرب من التفكير فيها ... وبعد ان انتهى الحفل انصرف العروسان الى بيت الزوجية الذى بدأ يتداعى قبل ان يكتمل بناؤه لقد هبت عليه سموم الماضى المحرقة ، ولفته ظلماته الدامسة فلم يقو على البقاء إلا أياما معدودات ثم تحطم ، وخرجت منه جيهان مطلقة لتعيش نهب الاعاصير الصارمة ، وفى مهب الارياح العاتية وفى دوامة الحياة القاسية ..

الفصل الخامس

«حق ينتصر»

زاد استبداد لطفى بك بالفلاحين فى ضيعته ، وتضاعف بطشه بهم ، وتنكيله بالشباب والشيوخ منهم،فهم فى نظره أجسام بشرية لا إرادة لها،ولا إحساس عندها يسوقهم سوق الماشية ويضربهم ضرب غرائب الابل وهم مضطرون للاقامة على ذلك الضيم ويحتملون مرغمين ذلك الخسف . . يتجرعون كؤوس الذل فى سبيل لقمة العيش ويتوسدون الشقاء والبؤس فى سبيل الرغيف . . . إنهم جميعا لاحول لهم ولا قوه ، أليس لطفى بك صاحب الضيعة الكبيرة التى يعملون فيها ؟ أليس فى استطاعته أن يطرد من يرى طرده منهم فى أى ساعة من ليل أونهار ؟ أليس فى استطاعته أن يستبدل قوما غيرهم وقد لايكونوا أمثالهم ؟ فمن منهم يجرؤ أن يقول له لم فعلت ما فعلت ؟ أو تركت ما تركت ، ولو أن واحدا منهم فكر فى الاعتراض لالهبت السياط ظهره ولأدمت قدميه وقد يرسل بعـــد ذلك الى مأمور المركز أو ضابط النقطة ليزيده تنكيلا ، وذنبه أنه تجرأ واعترض على لطفى بك ، ولم يكن الفلاحون فى عزبة لطفى بك أسعد حالا من أمثالهم عند بقية الاقطاعيين والمستبدين من أمثاله . . . ولم يكن للاقطاع معنى فى ذلك الوقت إلا أنه تسلط وجبروت واستبداد وطغيان وعسف وجور ، وتحقير وإذلال للفلاحين الكادحين حتى إذا كانت الانتخابات لمجلس النواب أو الشيوخ ذهب الفلاحون إلى لجان الانتخاب لينتخبوا سيدهم الاقطاعى وهم مضطرون أن يصلوا بين تذكرة الانتخاب وبين الرغيف

مضطرون أن يقدموا أصواتهم لمن يملك ذلك الرغيف ، ومن يستطيع حرمانهم منه في لمح البصر إن هم فكروا في غير انتخابه ، فاذا ظفر الاقطاعى بكرسى النيابة : وهو ظافر به لا محالة تربع عليه يمالىء الحكومة ويشايع المسئولين ، ويحاول جاهدا أن يغنم من النيابة لنفسه مااستطاع إلى ذلك سبيلا ، أما هؤلاء الفلاحون البائسون الذين ذهبوا به الى مجلس النواب فليس لهم من عنايته أدنى نصيب ، ولو جرؤ واحد منهم وحدثه فى أمر خاص به فليس له إلا الطرد والاهانة .

وكراسى الحكم ، ومناصب الوزارة ، إنها لم تكن تشغل إلا بالاقطاعيين الذين يقدمون للاحزاب ضريبة المنصب آلافا من الجنيهات ! !

وقضى الفلاحون على تلك الحال دهرا طويلا تغلى نفوسهم ، وتتحرق قلوبهم وتدمع عيونهم وهم يترقبون ساعة الخلاص وينتظرون اليوم الذى يرون فيه الاقطاع وقد تحطم ، والارض التى يفلحونها وقد أصبحت ملكالهم ، إنهم يريدون النور الذى يبدد الظلام ، والحق الذى يزهق الباطل ، والعدل الذى يمحو الطغيان ، والاصلاح الذى يطيح بالفساد .

وكم تمنى الفلاحون لوأن عرقهم الذى يتصبب منهم يصبح ماء حميا يقطع أمعاء الظالمين ، وكم تمنوا لوأن الشمس التى تصليهم فى حقول الاقطاعيين تصير نارا محرقة تهلك أجساد المستبدين نعم طالما تمنو الأنفسهم نصيبا ولوضئيلا من الحياة وقدرا ولويسيرا من الادمية ، وشيئا ولو قليلا من البشرية إنهم مستعدون أن يجعلوا من أنفسهم القذيفة التى تفتك بالظلم ، والاعصار الذى يطيح بالطغيان ، والنار التى لا تبقى من الفساد شيئا ولا تذر ، إنهم يتمنون النداء الذى يدعوهم

إلى ذلك كله فيلبون ، والصوت الذى يهيب بهم فيستجيبون، والثورة التى تنتشلهم فيهللون ويكبرون . . .

ثم كانت ثورة ٢٣ يوليو المباركه . . .

جاءت هذه الثورة المباركة لتقتلع الفساد من جذوره ، جاءت ومن مبادئها العظيمة أن تحرر الفلاح من عبوديته ، وتنقذه من وهدته ؛ جاءت لترد اليه آدميته ، وتشعره بكيانه ووجوده ، جاءت لترفع رأسه ، وتيسر عيشه ، وتنهض به ، وتجعل كدحه من أجل نفسه وولده ووطنه ، لا من أجل حفنة من السادة الاقطاعيين فان اليد التى تضرب الأرض بالفأس ، وتقلبها بالمحراث ، وترويها بالعرق يجب أن تنعم بخيرات هذه الارض . .

جاءت الثورة المباركة وجعلت الاصلاح الزراعى من أهم أهدافها فجعلت الحد الاقصى للملكية مائتى فدان ثم نقص هذ الحد فصار مائة فدان . .

واستقبل لطفى بك قوانين الاصلاح الزراعى فى شىء من الضيق والفتور أول الأمر، فلن يبقى له من أرضه التى ورثها عن أبيه وأجداده إلا مائة فدان وسوف يؤخذ منه ثلاثمائة فدان لتوزع على الفلاحين فى عزبته وتنال كل أسرة من أسرها الستين خمسة أفدنة ، وأخذت منه الارض على دفعتين ووزعت على الفلاحين . .

أخذ الشيخ عبد الصبور والد حسن خمسة أفدنة ، وأخذ منصور والد سعدية وعثمان خمسة أفدنة ، وأخذت كل أسرة خمسة أفدنة ، ونظر لطفى بك فوجد كل

أسرة من هذه الاسر قد أصبحت مالكة بعد أن كانت معدمة ، وجد أن ثمرة كفاحها تحقق لها نصيب منها ، وجد الرءوس التي تعودت الانحناء قد ارتفعت ولم تعد تعرف ذلك الانحناء. رأى الفلاحين فى عزيمته قد خلعوا ثياب الذل التى نسجها لهم بيده وألقوا الباس الجوع والخوف الذى أذاقهم إياه بطغيانه وجبروته. رأى الفلاحين فى أرضهم التى تملكوها يضربونها فى قوة ويحرثونها فى نشاط ويروونها فى عزم وهمة ويتعهدونها فى دأب وعناية ، رأى الدنيا قد بسمت لهم بعد عبوس ، والامل قد تحقق لهم بعد قنوط . .

ثم عاد الى نفسه فوجدها مبتئسة بعض الشيء تنكر ما ترى من أمر الفلاحين فى ضيعته وإن تظاهرت بالرضا ، وتزور عنه فى حزن وان تظاهرت باقبالها عليه فى سرور ، وجد مظاهر البذخ والترف تنفض عنه ، ووجد عصا الجبروت تكاد تسقط من يده ، ووجد ظلال النعيم تكاد تزول عنه . . . ووجد جاهه لم يعد شيئا مذكوراً ، ألم يصبح الفلاحون له أندادا ، وقد كانوا من قبل له عبيدا ، ألم تكن تلك الارض الواسعة ذات اليمين وذات اليسار ملكا خالصاً له وحده؟ فأصبح لا يملك منها إلا مائة فدان ، حتى هذه المائة ! ! ألم يأخذ مدحت على منها خمسين فدان ثمنا لزواجه من جيهان ؟ !

واذاً فكل ما بقى له خمسون فدانا .. فماذا تفعل هذه الخمسون ؟ هل يكفى انتاجها ما تحتاج اليه قصوره وزجته وأولاده وخدمه ؟ وشئون زراعته من أموال ، لذلك كله أصبح لطفى الدلنجاوى ضـــائق النفس ، كسير القلب ، مهيض الجناح . . .

كافح عثمان بن منصور رغم الظروف القاسية التى كانت تحيط بحياته الدراسية ،

فلم تسعفة حياة ابيه المادية بما يحتاج اليه من ضروريات الحياة ، ولكن الله جلت قدرته قد وهب عثمان عقلا راجحا ، وقلبًا واعيا وذكاء نادرا ، وخلقا عظيما ، وكان ذلك كله عوضًا ، خير عوض لعثمان وابيه عن الفقر ، وسار عثمان فى حياته الدراسية مجدا يبذل جهده ويستغل وقتة فى الاستفادة من دراستة على اكمل وجه ولأكرم غاية ، والمدرسة عنده مجتمع صغير لها مكانتها وقدسيتها ، والمدرس فى نظره أب روحى ، يصقل الروح وينشىء الجيل ، ويخرج للوطن نماذج قوية من الشباب ، والناظر فى رأيه مدير لهذا المجتمع الصغير وقف جهده ووقته للعناية بتلاميذ المدرسة جميعًا ، ومن ثم كان عثمان يحترم الناظر والمدرسين فاحترموه ، وكان يقدرهم فأحبوه ، ويفعل ما يأمرونه به فأثنوا عليه وامتدحوه ، وشتان بين عثمان وبين ثروت بن لطفى بك وقد حدثتك بعض حديثة من قبل ، ولم يكن فقر عثمان ليحول بينه وبين العلم والدراسة . بل لعل ذلك الفقر كان حافزا له على العمل ، ودافعا إلى المثابرة ، وباعثا له على الصبر والشجاعة وحب التفوق وكم بين أولاد الفقراء من أزهار تتفتح ولوافتقدت الندى وتبسم حتى على الظمأ ، فاذا وجدت شيئا ولو قليلا من الرعاية ، ازدادت نضارتها ، وانتشر أريجها . . . وكافح عثمان حتى حصل على مجانية التفوق فى دراسته الجامعية وتخرج من كلية الزراعة . . .

وشاءت الأقدار أن يكون بعد تخرجه مندوب الاصلاح الزراعى فى الضيعة التى كان يمتلكها لطفى بك ووجد نصيب أبيه من تلك الضيعة خمسة أفدنة وكانت بين القطعة الواقعة فى الحوض البحرى ووجد نصيب الشيخ عبد الصبور خمسة أفدنة كذلك وكانت بجوار نصيب أبيه . . .

وذهب عثمان ذات يوم ليتفقد أرض الاصلاح الزراعى ، ورأى المكان الذى ركله فيه لطفى بك بقدمه حينما كان غلاما يزرع القطن فأوقعه على الأرض . وشج رأسه ، وأسال دمه، وفجأة رفع يده إلى رأسه وكأنه يتحسس الدم الذى سال منه منذ سنوات فى هذا المكان ، وتذكر أنه فى ذلك الحين لم يكن يجرؤ أن يحرك لسانه أو ينبس ببنت شفه كما يقولون ، وتذكر أن دموع عينيه سالت منه غزيرة حينذاك ، ونظر حوله يريد أن يرى لطفى بك ، يريد أن يراه الآن فى هذا المكان ، ولكنه لم يجد الا الشيخ عبد الصبور يتفقد هو الآخر نصيبه من الارض وينظر الى المكان الذى ضربت فيه الشمس ولده حسنا منذ سنوات وقد أرغمه لطفى بك على أن يسهم فى زراعة القطن رغم مرضه ، وكانت النتيجة أن اشتدت به العلة وارهقة السقم حتى قضى نحبة .

واتجه الاستاذ عثمان الى الشيخ عبد الصبور يسلم عليه ويحييه . ثم نظر كل كل منهما الى صاحبة نظرة فيها الكثير من المعانى ، وتحمل الكثير من الذكريات ورأى الاستاذ عثمان عينى الشيخ عبد الصبور وقد اغرورقت بالدموع فقال :

ـ هيا بنا ايها الشيخ لنستظل تحت هذه الشجرة الضخمة العتيقة ، فهز الشيخ رأسه هزات رأسية ثم قال للأستاذ عثمان :

ـ كأننى لا أحب الانصراف عن هذا المكان ، إننى أوثر البقاء فيه حينا رغم حرارة الشمش ، أننى أرى الآن ولدى حسنا هنا فى هذا المكان ، أراه وهو يمسك بالوتد يزرع القطن ، وأكاد أسمع الصوت الخافت الذى كان يحدثه الوتد

وهو يشق الأرض ، إننى أرى ولدى حسنا وقـــــدماه لا تقويان على حمله ' أراه يتعثر فى خطوه البطىء وهو يزرع القطن ' بل إننى أسمع صوته ينادينى الآن :

أبى : لقد ملـكت الأرض التى كانت السبب فى موت ولدك . . . لقد قدمتها لك الثورة لترفع عنك كابوس الفقر ، ولتزيل عنـــك ألم الحرمان ، ولتشعرك بأن نار الظلم لا تحرق إلا الظالمين ، وبأن صروح الطغيـان لابد وأن تتحطم على رءوس الطاغين ، وليس عجبا أن يـكون نصيبك فى هذا المـكان الذى ذاق فيه ولدك مرارة التسلط والجـبروت ، والذى كان مسرحا لصـراع شديد بين استبداد تملك المستبد وغرور أفعم قلبه ونفسه فاستباح إذلالنـــا وتحقيرنا . . . وبين شوق مـكبوت إلى العزة ، وتطلع مستور الى الـكرامة ، وآمال عذاب كنا نحسها ونشعر بها ولئن بدت لنا آنذاك بعيدة المنال ، فأفلح يا أبى هـــذه الأرض . وابذل فيها جهدك ، ثم اهنأ يا أبى بها وتلك عدالة السماء . . . .

ثم تأبط الأستاذ عثمان ذراع الشيخ عبد الصبور واتجها إلى الشجرة الضخمة العتيقة ليتفيئا ظلالها بعض الوقت ' وأخذ الأستاذ عثمان يجول بنظره ذات اليمين وذات اليسار ، ويتطلع إلى أعلى يتفقد أغصان تلك الشجرة الضخمة العتيقة ، إنها الشجرة التى تناول فى ظلها طعـامه يوم أن كان غلاما يزرع القطن ، ولم يـكن طعامه حينذاك الا خبزا جافا وشيئا يسيراً من المش ! !

تذكر أصيل ذلك اليوم الأغبر ، وقد أقبل لطفى بك يتبخطر به جواده ' وتذكر أباه منصورا وهو يجرى ليستقبل الجواد بأخذ لجامه ، ويستقبل راكب

الجواد بانحناءة كادت رأسه تمس فيها ركبتية ، وتذكر الأجراء الكادحين من فلاحي الضيعة وقد قضوا يوما شاقا مضنيا في زراعة القطن ، ولم يكونوا في أي يوم من أيام السنة أسعد حالا منهم في ذلك اليوم . .

تذكر الاستاذ عثمان ذلك كله وأخذ ينظر الى الأرض الممتدة أمامه حينا ، والى الظل المنتشر حوله حينا آخر ثم اتجه الى الشيخ عبد الصبور واستنشق الهواء بقوة حتى ارتفعت أضلاعه ، ثم أخرجه زفيرا حارا هبط بعده صدره ثم قال :

ـ ياعم الشيخ عبد الصبور ، هون عليك ولا تسترسل في تلك الذكريات الأليمة . . لقد بكت العزبة كلها ولدك حسنا ، وكانت الدموع التي زرفها أهلها حزنا عليه ، وتنفيسا عن الألم الذي ملأ قلوبهم ، وأفض مضاجعهم ، وأثقل كواهلهم ، فلنحمد الله جل شأنه أيها الشيخ الوقور الذي هيأ لنا ثورتنا الظافرة، ثورة الشعب والجيش فقضت على الاقطاع ، ومكنتك من أن تنعم بخيرات أرضك وتذوق ثمرة جهدك ، وتسعد بوجودك وتشعر بآدميتك ، وتسترد كرامتك ، ثم بربك يا عم الشيخ عبد الصبور أين نحن الآن مما كنا فيه من قبل ؟ ، أين جبروت لطفى بك الدلنجاوى ؟ وأين استبداده وطغيانه ؟ ، وأين حمقه وتعاليه ؟ أنسيت الجواد الذي كان يركبه ؟ أنسيت حلقات الذهب والفضة التي نظمت في لجامه ؟ أنسيت يا عم الشيخ عبد الصبور صهيل ذلك الجواد الذي كنا اذا سمعناه ونحن نعمل أجراء في أرض صاحبه تكاد قلوبنا تطير خوفا وهلعا ، وتبلغ حناجرنا وجلا وذعرا ؛ أنسيت يا عم الشيخ عبد الصبور أن عرقنا وكفاحنا كان

يتحول ذهبا تضيق به خزائن لطفى بك ؟ أنسيت أنه لم يفكر قط فى مواساتنا ان مسنا ضر ، ولا فى تهنئتنا ان أصابنا خير . . . آه ليتنى أراه الآن فى هذا المكان فألقنة دروساً هو فى أشد الحاجة اليها .

ولم يكد الاستاذ عثمان ينتهى من ذلك الحديث حتى أبصر من بعد لطفى بك مقبلا يمشى على قدميه وقد نشر مظلته فقال للشيخ عبد الصبور :

ـ هذا هو السيد لطفى الدلنجاوى أراه مقبلا من بعيد .

ـ اقبل يمشى على قدميه كما يمشى الكثير من الناس ! ! !

ـ واى غرابة فى هذا ياشيخ عبد الصبور ؟ اليس مخلوقا كغيره من مخلوقات الله ؟، وهل لم يولد السيد لطفى الدلنجاوى الاليركب الخيل بين حقوله، والسيارة الفخمة فى اسفاره ، ويعيش الناس حوله عراة جياعا

ـ ما أجمل حديثك يا أستاذ عثمان ، وما اروع افكارك ، والله يا بنى لقد وددت لو ان لى به قوة تمكننى من استقباله بصفعة على وجهه اغسل بها عار صفعة منه على وجهى ، ووددت لو انه انكفأ على الأرض امامى من قوة صفعتى فلا اعنية على النهوض ، بل اتركه لكى يذوق ذلة الضيم ، وهوان السقوط كما اذاقنا ايام ظلمة وجبروتة ، فليقبل علينا اذاً فلن اقوم من مقامى ، ولن احرك له ساكنا ، ولن امد له يدا . لقد خلقنا ا الله احرارا فاستعبدنا ، وكرماء فاستذلنا ، واعزة فاسترقنا فليتة بعد هذه الثورة المباركه يدرك اننا لن نستعبد له ولا لغيره بعد اليوم ، ليته يدرك ان رءوسنا رفعت ولن تنكس ، وان كرامتنا اعادتها لنا ثورتنا ولن نفرط ابداً فى كرامتنا .

ياعم الشيخ عبد الصبور هدىء من عضبتك واستقبله كما تستقبل اى رجل عادى قدم عليك ، ورد تحيته بخير منها او بمثلها (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها) .

وإذا كان هو قد جرعنا الكثير من كؤوس الذل والحرمان ، فلنكن نحن خيرا منه ، وأكرم خلقا وألين جانبا ، ثم علينا ألا نظهر الشماتة به لتقلص سلطانه وجبروته ، وخير من ذلك أن نعرفه أن الحياة الصحيحة هى أن يتقارب الناس وأن تتآلف قلوبهم ، وأن تملأها المحبة والعطف وأن تسود بينهم المودة والاخاء . إنه لو فهم معنى الحياة الصحيحة لاستراح إلى حياته الجديدة وكان أكثر سعادة بها ورضا عنها وركونا اليها .

ـ يا أستاذ عثمان لك رأيك وأنت وشأنك معه . أما أنا . .

ـ وأما أنت يا عم الشيخ عبد الصبور فستكون كريما معه .

ثم أقبل لطفى بك الدلنجاوى واقترب منهما وألقى السلام عليهما فقام الأستاذ عثمان من مكانه وتقدم نحوه خطوات وهو يرد عليه السلام وحياه مصافحة وتظاهر بالبشاشة وتكلف الابتسام وأما الشيخ عبد الصبور فإنه هم بالوقوف فأسرع اليه لطفى بك قائلا له :

ـ استرح بالله ياشيخ عبد الصبور استرح يا رجل ولا تكلف نفسك من الامر شططا ! إنك شيخ كبير وأنا الذى أسعى إليك مسلما ثم صافحه .

ونظر الأستاذ عثمان إلى الشيخ عبد الصبور نظرة فيها شىء من العتب عليه ، وشىء من الاعجاب بالقادم عليهما .

ثم قال الاستاذ عثمان للسيد لطفى :

ـ يا سيد لطفى : إلى أين تقصد الآن ؟

ـ الى حقل قريب منكما لأن بعض العمال الزراعيين يعملون فيه .

ـ وماذا يفعلون ؟

ـ ينقون النجيل والحشائش .

ـ وما الذى حملك على الذهاب اليهم فى ذلك الوقت الذى اشتدت فيه الحرارة ؟

ـ أمور كثيرة يا أستاذ عثمان . . . لأخفف عنهم عناء العمل بكلمات طيبة أوجهها اليهم . ثم لأقف بينهم بعض الوقت فى حرارة الشمس فأشعرهم أننى أقاسمهم شيئا من التعب . فاذا وجدت من بينهم من أضناه التعب أو آذاه المرض أعفيته من العمل وأعطيته أجره كاملا ، ومن يدرى ؟ فقد أدفع للمريض منهم نفقات علاجه .

وفى هذه اللحظة وقع نظر الاستاذ عثمان على الشيخ عبد الصبور فوجده مقطب الجبين منقبض الأسارير وعلى شفتيه كلمات يريد أن يقذف بها فى وجه السيد لطفى الدلنجاوى فقال له :

ـ أتريد أن تقول شيئا ياعم الشيخ عبد الصبور ؟

ـ والله يا أستاذ عثمان انني فى حيرة من أمرى وأمر هـذا الرجل ، هل أعجب به أو أضيق ؟ وهل أحبه أو أمقته ؟ وهل أقبل عليه أو أعرض عنه ؟ وهل أطاوع أذنى وما سمعته منه الآن فأشكره ؟ أو استجيب لقلبى وما فعـله معه فأكفر به . ثم وجه الكلام للسيد لطفى .

الآن تذهب لتقاسم العمال التعب ، بل لتعفى المريض منهم من العمل وتدفع له نفقات عـلاجه ، وامس ايها الـ . . . لم تـكن ترى مرض ولدى حسن مـبررا لاعفائه من زراعة قطنك . . وهنا قال الاستاذ عثمان :

ـ يا عم الشيخ عبـد الصبور . ألم أقل لك منذ قليل لاتسـترسل فى تلك الذكريات المؤلمة . ثم وجه كلامه للسيد لطفى الدلنجاوى :

ـ أما كان الاولى بك يا سيد لطفى أن تذهب راكبا ؟

ـ والله يا أستاذ عثمان لقد آثرت المشى .

فهز الاستاذ عثمان رأسه قليـلا وهم بـكلمات ماتت على شفتية فقال له السيد لطفى :

ـ أتريد أن تسألنى عن شىء ياسيد عثمان ؟

ـ عفوا ياسيد لطفى ليس لى أن أسألك أكثر من ذلك ، وكل ما فى الأمر أنى الآن استعرضت على مسرح الحياة بعض أحداث وصور من فيلم قديم وكنت انت البطل فى ذلك الفيلم .

ـ ماذا تعنى بتلك البطولة ؟

فانتظر الأستاذ عثمان بعض الوقت ثم تنفس الصعداء وقال :

ـ أعنى بطولتك وأنت تركب جوادك وتحتك سرج من ذهب وبيدك لجام من فضة وكلها قد صنعت من عروقنـا واشتريت بعرقنا ، وبطولتك وانت تركب سيارتك (الـكاديلاك) الفاخرة ولم تكن إطاراتها إلا من دمنا ولحمنا ، يقودها لك السائق ، وينهب بها الأرض نهبا وكأنك كنت بذلك تنهب آمالنا ، وتحطم أحلامنا ، وتدوس كل معنى للحياة فينـا ... وأعنى بطولتك ياسيد لطفى وأنت الآمر الذى لا يعصى له أمر والحاكم الذى لا يرد له حكم والمتصرف الذى قدر له أن يتصرف فى أهل ضيعته فى أى وضع وعلى أية صورة يرتضيها . وأعنى بطولتك ياسيد لطفى وقد ركلتنى بقدمك هذه التى هزت صاحبها الأحداث فهزلت ، وقويت من حولها أقدام أخرى فضعفت ... وبطولتك وقد أوقعتنى على الأرض بركلتك فأسلت دمى ، وشججت رأسى ، ولم تشألك تلك البطولة أن تقول لى حرفا واحدا يخفف عنى بعض ألمى الممض أو يخفف لى بعض دمى المراق .

وأعنى بطولتك ياسيد لطفى وأنت تترفع عن الناس فى كبر وفخر واختيال فما عرفت الضيعة ولو مرة واحدة أنك واسيت من أهلهـــا محزونا ، أو هنأت منهم

مسرورا ... أليست هذه كلها بطولات ياسيد لطفى؟ وإن كانت بطولات من نوع أنت أدرى الناس به واحقهم بأن يخلع عليه اسما يناسبه . إنها ياسيد لطفى بطولات كاذبة جوفاء لا يمكن ان تثبت لصدق الحقيقة ، ولا لصوت العدالة ، ولا لقضايا المنطق ، ولا ليد البناء والاصلاح ، إنها ياسيد لطفى بطولات انهارت وكانت لابد ان تنهار امام النور الذى اشرق على امتنا العزيزة بقيام ثورتنا العظيمة ـ ثم سكت الأستاذ عثمان قليلا ، وساد المكان صمت طال بعض الشىء ، واطرق السيد لطفى وطال إطراقه ، وكأنه قد استغرق فى تفكير عميق طويل ثم رفع راسه وقال :

ـ يا استاذ عثمان لقد اسرفت فى التأنيب ، واطلت فى التبكيت ، وما احببت منك إسرافك ، ولم تعجبنى إطالتك ، ولقد نسبت إلىّ كثيرا من البطولات فى الفيلم الذى استعرضته على مسرح الحياة ، ولن اناقشك فيما نسبته إلىّ ، ولن اعرض له بتصديق اوتكذيب ، وإنما يهمنى ان اذكرك ببطولة هامة جدا نسيتها وماوددت لك نسيانها ، إنها بطولة الأحداث نعم إن للأحداث بطولة عجيبة جدا . إنها بوتقة تصهر فيها عزائم الرجال ، فيذهب مافيها من زيف وباطل ويبقى مافيها من أصالة وحقيقة ، إن بعض الأحـــــداث يا استاد عثمان تصيب المرء فتهز كيانه هزا عنيفا ، وتمس شعوره وإحساسه مسا شديدا ، وتعصر قلبه عصرا ملحًا ، فيخرج بعدها الكيان وقد استقام امره والشعور وقـــد رق ، والقلب وقد تعود العطف والحب ، والجلد والصبر ...

إن الاحداث يا استاذ عثمان تنبه الغافل ، وكثيرا ما ترشـد الضال ، وتزيل غشاوة كانت على بصره ، ووقرا كان فى أذنه ، وحجابا ران على قلبه ، ثم تاخذ

بيده فى رفق وهوادة ، وعطف ولين الى حيث يجد الهداية بعد الضلال ، والنور بعد الظلام ، والحق بعد الباطل وأظنك الآن تريد أن تسألنى عن تلك الأحداث، وعن الذى صهرته فى بوتقتها فخرج بعدالانصهار خالصالاشائبة فيه.ودعنى أكفيك مشقة السؤال يا بنى . .

أما الاحداث التى أعنيها فهى تلك التى تعيش فيها جميعا ، انها ثورتنا الظافرة المظفرة المباركة . ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م . . . إنها بناء الأمة من جديد ، إنها تطوير الشعب فى روحه وفى كيانه وفى وضعه من الحياة ، إنها الانطلاق به إلى مستقبل عزيز ، إنها دفع عجلة التاريخ فى قوة وعزم حتى تعوض الأمة ما فاتهـا ، وحتى تكون سباقة فى ركب الحياة الزاحف . . . إنها الاطاحة بالفساد والطغيان إنها القضاء على الاستغلال، إنها الاصلاح الزراعى ، إنها بناء جيش يفخر به العرب فى كل بلد عربى فهو لهم الدرع الواقيـــة . وهو الصاعقة التى تصد عنهم كيد الأعداء ...

تلك هى الأحداث يا أستاذ عثمان . . .

وأما من صهرته فى بوتقتها فأنا وأمثالى ممن كان على شاكلتى ، والذى لا أشك فيـه أننى تغيرت وتطورت ، وليس عجبـا أن يتطور المرء ويتغير وإن تقدمت به السن. ولهذا يا أستاذ عثمان خرجت لأقف مع العمال الزراعيين تحت أشعة الشمس أقاسمهم بعض ما يلقون من عنت وإرهاق ، ولهذا يا أستاذ عثمان قررت قبل أن أصل إليهم أن أعفى المتعب منهم ، وأطب للمريض فيهم ، ولو أن حسنا ولدك كان

بينهم الآن لهممت أن آخذ الوتد منه ، وأزرع بنفسى بدلا عنـــه ، ولحملته على أكف الراحة والطمأنينة ، ولأوقفت عليه من يقوم بتمريضه وعلاجه ' فلا تبتئس يا شيخ عبـد الصبور واعـلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنـا) .

وأظنك يا أستاذ عثمان بعد هــــذا الذى قلته قد تأكد لك أنك نسيت بطولة من أهم البطولات ، وتلك هى بطولة الأحـداث ، وأظنـك الأن قد تأكد لك أنك أسرفت على حيث لا يجب الاسراف ولا يحب وأطلت حيث تكره الاطالة وتمل .

ـ ياسيد لطفى ، ما أسرفت عليك حبا فى الاسراف ، وإن الذى سمعته منى منذ قليل هو تنفيس عن احساس بالـكبت ، وتخلص من رواسب استقرت فى قلبى منذ أن كنت غلاما أزرع القطن فى هـذا الحقل الممتد أمامك ، وكنت كلمـا مرت بى السنون ، وخطوت فى دراستى خطوات إلى الأمام ازدادت تلك الرواسب أثرا فى نفسى ، وفوق ذلك فقد كان لابد لى أن أقول ما قلت ، ولابد لك أن تسمعه حتى تتضح الحقيقة ، ويعرف كل منا ما فى قلب صاحبه ، ومن نبل الخلق ألا يحمل المرء فى قلبه لغيره ضغنا أو كراهية . فان أحس نحو احد بشىء من ذلك ووجد أسبابا له ، كان عليه ان يبحث تلك الأسباب معـه ، وان يعملا على إزالتها ، فاذا زالت صفا القلب. وأصبح طاهرا نقيا، ولا أكتمك سرا ياسيد لطفى فاننى كنت مغيظا منك ، محنقا عليـك ؛ وكلما استعرضت قصتك القديمة معنا نحن فلاحى الضيعة ازددت ضيقا بك، وكراهية لك . أما الان وقد اتضح لى ماذكرت

وكشفت عن ذات قلبـــــك ، وحقيقة نفسك فإننى احس بالغبطة واشعر بالسعادة لنظرتك الصحيحة السليمة للحياة والأحياء من حولك ..

ثم هم السيد لطفى بالاستئذان من عثمان والشيخ عبد الصبور ، فسأله الأستاذ عثمان إلى أين ؟ فقال له : إلى العمال فى هذا الحقل القريب كما ذكرت لك لأكتب سطورا جديدة فى مسرحية حياتى الجديدة . ثم ودعهما وتابع سيره ..

ونظر العمال فوجـدوا السيد لطفى مقبلا عليهم فانصرفوا إلى عملهم فى شىء كثير من الجد ، ولما وصل إليهم حياهم جميعاً تحية صادقة فردوا عليه التحية فى ادب وإجلال ووجد العمل متقنا تجلى فيه اخلاص العمال وجهدهم ...

ثم نظر إلى الساعة فى معصمه فوجد عقربها قد فارق الحادية عشرة قليلا ، ثم نظر إلى الشمس فوجدها لم تصل بعد إلى كبد السماء كما يقولون فقال لهم : ـ

أيها الأبناء : اتركوا العمل الآن ، واذهبوا إلى رأس الحقل فاستظلوا تحت الأشجار وارتووا بالماء ، واستريحوا من هذا العناء ، ثم تناولوا الغذاء ، قال أحدهم : ولـكن الوقت ما زال مبكرا بالنسبة لراحة الظهيرة وتناول الغذاء فقال له السيد لطفى : ليس للوقت حساب بيننا يابنى والمهم هو راحتـكم والعمل الذى لا ينتهى اليوم ينتهى غدا ، ولقـــــد خلق الله الدنيا فى ستة أيام ولم يخلقهـا فى يوم واحد . هيا هيا إلى الظل والماء والراحة والغـذاء . فاستجاب العمال شاكرين له عطفه عليهم واتجهوا إلى حيث الظل والماء ولقد أراد السيد لطفى ان يكرم العمال وقت الراحة فجلس منهم غير بعيد ثم نادى واحدا منهم وأعطاه جنيهين وطلب إليه

ان يركب أى حمار من تلك التى ربطها اصحابها على رؤوس الحقول بعد ان يستأذن صاحبه فاذا وصل إلى البـدال اشترى كمية من السكر وقدرا من الشاى واشترى بعضا من علب التبغ ؛ وبعضا من الحلوى وشيئا من الجبن والزيتون ثم يعود مسرعا ليأكل هو وزملاؤه مما اشتراه وذهب العامل ثم عاد ووضع مااشتراه ، امام إخوانه جميعـاً فأكلوا وشربوا ثم أعد لهم الشاى ووزع عليهم لفائف التبغ واخـبرهم ان ذلك كلهمن كرم سعادة البك لطفى فرد العمال فى صوت واحد :

ـ متشكرين يا سعادة البك ـ ربنا يخليك ويديم عزك

وعندئذ قال لهم السيد لطفى : ـ يا أبنائى ، ما فعلت شيئا استحق عليه هذا ، واحب ان اذكركم بشىء هام هو انه لم يعد فينا بك ولا باشا ولقد الغيت هـذه الألقاب إلى غير رجعة ، وانا من تاريخ إلغائها (السيد لطفىالدلنجاوى) فقط ، وبعد ان شرب الشاى مع العمال واشعل معهم لفافة من التبغ ووزع عليهم ما تبقى من الجنيهين طلب منهم ان يحضروا جميعا بعدصلاة العشاء إلى حديقة القصر لأنه يريد ان يجلس معهم بعض الوقت فى ضوء القمر الجميل ثم ودعهم وانصرف . وعاد السيد لطفى إلى القصر وسألته زوجه كريمة :

ـ من اين جئت ؟

ـ من الحقل .

ـ وكيف جئت منه الآن ؟

ـ ماشيا .

ـ ماشيا وقت الهجير ولفح الشمس المحرقة ؟!

ـ نعم ـ ماشيا وقت الهجير يا كريمة

ثم سكتت كريمة هانم قليلا ، واستغرقت فى التفكير فقال لها زوجها : ـ

ـ فى اى شىء تفكرين ؟ ومم تعجبين ؟ نعم ذهبت إلى الحقل ماشيا وعدت منه ماشيا اذوق حرارة الشمس كما يذوقها الكثير من الناس ، واقف بين الفلاحين وهم يعملون فى الأرض كما يفعل العقلاء من ملاك الأرض . بل شربت الشاى معهم تحت ظل الشجرة . ووددت لو اننى اطلت الجلوس بينهم ، وما منعنى من ذلك إلا خوفى من انشغالك على ..

ثم نظرت إليه كريمة وقالت : وشربت الشاى معهم تحت ظل الشجرة !!! ما هذا التطور العجيب يالطفى بك ، تجلس مع الفلاحين الأجراء وتشرب الشاى معهم تحت ظل الشجرة .

ـ لا تعجبى بربك يا عزيزتى . انهم لم يعودوا اجراء لقد اصبحوا ملاكا مثلنا تماما وكل ما هنالك ان الأسرة منهم تملك خمسة افدنة واسرتنا تملك خمسين فدانا وانا اشهد الله يا كريمة هانم اننى اشعر الآن بمعنى السعادة الحقيقية ليست السعادة يا كريمة فى ان يجلس المرء فى قصره ، وقد تكدست الأموال فى خزائنه . وامتلأت المخازن بثمار ارضه وغلاته ، تقبل عليه الدنيا باسمة ويغرق نفسه فى متعها ولذاتها . وحوله نفر من الناس بطونهم خاوية ، وجسومهم عارية ، وصحتهم عليلة، وحياتهم ذليلة.. ليست هذه سعادة ، وإنما السعادة فيما نحن فيه الآن تأكل

ونشرب ونستمتع وحولنا القوم يأكلون ويشربون ويستمتعون ، نفوسهم مطمئنة ، وقلوبهم راضيــــة ، وضمائرهم منشرحة ، ووجوههم ضاحكة مستبشرة .. بربك يا عزيزتي ! اطردي عن ذهنك تلك الأوهام ، وروضي نفسك على الواقع وإنه لواقع جميل لو تعلمين . اتركي ذلك البرج العـــاجي ، وانزلي إلى أرض الناس وشاركيهم حيـاتهم ، وخففي عنهـم بعض آلامهم وساعديهم على تحقيق آمالهم ، وعندئذ تذوقين طعم السعادة الحلو ؛ وتشربين كأسها المغدقة ..

الحقيقة التي يجب أن تعرفيها جيدا هي أننا لم نعد نملك أربعمائة فدان بل كل ما نملـكه خمسون فدانا ، وستعرفين من الحقائق الهامـة الشيء الـكثير في أيامك القليلة المقبلة ...

هيا بنا الآن لتناول غذائنا فقد لقيت من رحلتي عسرا وتعبا ...

ثم قاما لتناول الطعام . واستراحا بعض الوقت .

وبعد صلاة العشاء لبس السيد لطفي ثوبا عاديا وهم بالنزول فسألته زوجه

ـ إلى أين ؟

ـ إلى الحديقة .

ـ لماذا ؟

ـ لأني دعوت الذين كانوا يعملون اليوم في الحقل إلى جلسة هادئة في الحديقة ليستمتعوا بجمال الأشجار والأزهار ثم لأستمتع معهم بضوء القمر الجميل ، وحبذا

يا كريمة هـانم لو أرسلت لهم شيئا من الحلوى التى غصت بهـا صناديقها الصغيرة عندنا اليوم ، ولم ينتظر السيد لطفى أن يسمع من زوجه جوابا ، ولـكنه نزل إلى الحديقة واتخـذ مجلسه على كرسى بين الأزهار وحوله العمال كل يجلس على كرسى أعد له ، ونظر السيد لطفى إليهم نظرة العطف ، وحياهم تحية الاخلاص ، وقدم خليل الخفير أكواب (الشاى) الجميـــلة التى لم يشربوا فى مثلها منذ أن تفتحت عيونهم على الحياة فأخذ كل عامل كوبه وهو يحس فرحتين ، فرحة الجلوس مع السيد لطفى فى حديقة قصره ؛ وفرحة الأكواب الجميلة وما حملت من شاى ثم طاف عليهم خليل بصندوق السجاير وقدم لـكل منهم لفـافة تبغ ، وبعـد مدة قصيرة طاف عليهم بالاطباق الصغيرة وفى كل منها بعض قطع الحلوى ، ثم أخـذوا جميعا يتسامرون فى فرح شامل وسرور بالغ . وقال لهم السيد لطفى :

يا إخوانى إننى مبسوط جدا من وجودكم معى الان فى هذه الحديقة وفى ضوء هذا القمر ، ومبسوط جـدا لأنى أشعر أن نفوسكم راضية ، وقلوبكم منشرحة ، ومسرور جدا لأنكم والحمد لله أصبحتم فى ظل ثورتنا المباركة ملاكا للأرض؛ وكل ما أرجوه اهتمامكم بزراعتـكم ، وعنايتكم بها ، ولم يكد ينتهى السيد لطفى من كلامه حتى اقبلت أم على الخادمة وأسرت فى اذنه كلمـات فقال لها لا مانع أهـلا وسهلا لتتفضل فاسرعت أم على الى القصر . وبعـــد مدة قصيرة فوجىء العمال بالسيدة كريمة تقبـــل نحوهم فوقفوا جميعا وقد أخذتهم الدهشة ، وأسكتتهم المفاجأة وأحسوا بالارتباك والاضطراب انهم لم يخطر على بالهم قط أن تنزل اليهم كريمة هانم وتجلس معهم ، ولـكنها حيتهم قائلة لهم :

مساء — الخير اتفضلوا . اقعدوا .

ثم أمرت (خليــــلا) أن يطوف عليهم مرة أخرى بالحلوى . وأخـذت تحييهم قائلة :

ـ أهلا وسهلا . فيرد العمال ، أهلا بحضرتك ياست هانم .

وبعد مدة هموا بالانصراف لا ضيقا بالجلسة ولا كراهية لها وانما رهبة منها وتحاشيا لاطالتها ، ولـكن السيد لطفى طلب منهم الجلوس بعض الوقت فجلسوا ، ولما استأذنوا فى الانصراف بعد ذلك أذن لهم ، وقال أحدهم :

ـ يا سعادة البك ربنا يديمك لنا ، ولا يحرمنا من أفضالك ونحن شاكرون لـكم هذه الجلسة اللطيفة العظيمة . ثم انصرفوا ...

وخلا المكان الا من السيد لطفى وزوجته كريمة وهنا قال لها :

ـ ما الذى حملك على النزول وحضورك هذه الجلسة . ؟

ـ لقد اقتنعت بوجهة نظرك يالطفى وأسرنى حديثك الذى حدثتنى به اليوم قبل الغذاء . وآمنت أن السعادة ليست فى التعالى على الناس وانما فى القرب منهم ، وبدأت أكره حياة الأبراج العاجية ، وأحسست بالميل الشديد نحو الحياة العادية الحياة التى لا تكلف فيها ولا تزمت ، حياة فيها بساطة وليس فيهـا تعقيد ، وفيها ايثار وليس فيها أثرة ، وفيها مشاركة وليس فيها عزلة ، وكم أنا سعيدة الان بهذه

الجلسة ، وسعيدة لأنى جالست نفرا من النـــــاس كانوا يرون أن جلوسى معهم معجزة، وسعيدة أيضا لأنى بدأت أشارك زوجى احساسه الجديد ونظرته الجديدة الى الحياة الواقعية .

وبعد أن شكرها زوجها على ذلك قاما متجهين الى القصر وكل منهما يحس بنشوة شاملة . وبهجة عظيمة ...

الفصل السادس

« عدالة تسود وسعادة تعم »

استغل أصحاب الشركات كدح العمال وعرقهم ، وامتصوا جهدهم وكدهم وجمعوا من ذلك عشرات الملايين من الجنيهات بينما يقضى العامل يومه أمام آلته فى كد وتعب ، ولم يكن أجره على ذلك إلا قروشا قليلة لا تكاد تفى بحاجته الضرورية فاذا أقبل الليل وذهب العامل إلى مضجعه ألقى نفسه على فراشـــه كأنه جثة لا حراك بها ، حتى اذا أقبل صباح اليوم التالى أسرع إلى عمله فى الشركة يزاوله فى إخلاص واتقان ، ومضت الأيام به على هذا النحو يوما فيوما ثم عاما فعاما ، ومطالب الحياه تزداد الحاحا عليه ويكثر أولاده ، وأجره لا يزيد شيئا كثيراً فأصبحت الحياة فى وجهه عابسة والدنيا أمامه مظلمة ، وكأن الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت إذا أصابته العلة أو إذا أصابت أحد أبنائه لم يجد الاجر الذى يتقضاه الطبيب لتشخيص الداء ووصف الدواء ، فيحترق قلبه أسى ولوعة وترسل عيناه الدمع هتونا وهو يرى ابنه أمامه وقد برحت به العلة وألح عليه المرض حتى أصبح كزهرة ذابلة ولا يمسك من أسباب دفع الداء عن ولده إلا ما تمسكه الاصابع المنفرجة من الماء ، وإذا تطلع الى أصحاب الشركه والمساهمين فيها وأعضاء مجلس إدارتها يلح عليهم بصمته أن يعينوه ويتحدث اليهم بلسان حاله أن يواسوه فلا يجد من هؤلاء الا قلوبا كالحجارة ، او أشد قسوة حتى كأنهم يستعذبون آلامه ، وتسرهم دموعه وأحزانه ، فاذا سأل نفسه عن الارباح الطائله التى تحققها الشركة

من جهده وجهد زملائه وأين تذهب ؟ كان الجواب أن الكثير منها ينفقه اصحاب الشركات فى سيارات فاخرة ، ومظاهر بذخ كاذبة ، ورحلات الى الخارج عابثة ما جنة ، وسهرات حمراء صاخبة وان كانوا يحاولون أحيانًا ـ ذراً للرماد فى العيون ـ أن يؤدوا للعمال بعض الخدمات التى لا تنهض الا بالنزر اليسير من مطالبهم ...

ورأت ثورتنا العظيمة (ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م) ذلك كله فأنكرته كل الانكار وأرادت ان ترد للعامل كرامته وأن تملأ نفسه ثقة بوطنه ومواطنيه وأن تذيقه طعم الحياة الكريمة ، وأن يأخذ نصيبه من تلك الارباح واذاً فلابد من علاج حاسم لذلك كله ، فكانت القوانين الاشتراكية الصادرة فى يوليو سنة ١٩٦١ ، وأممت الشركات لصالح الشعب ودخلت القطاع العام ، وليس للقطاع العام معنى إلا انه رد حقوق الشعب اليه ، واشرافه عليها وتدبير امورها ، وتوزيع الأرباح فى عدالة تامة ، واصبح للعامل نصيب موفور فى تلك الأرباح ، واصبح عضواً فى مجلس الادارة ان هذه الاشتراكية أرست قواعد العدل ، وجعلت التقارب بين الطبقات امراً واقعيا ، ورفعت رأس العامل وجعلته نداً لصاحب العمل ، وقدر العامل ذلك حق قدره ، وأحس بأنه من اصحاب الشركة التى يعمل فيها ، وان زيادة الانتاج فيها استجابة لنداء الوطن الذى عرف له قدره ، وفيها اسهام فى بنائه وتدعيم للعدالة الاجتماعية وفيها بعد ذلك زيادة نصيبه من الأرباح لذلك كله ضاعف جهده وازداد اتقانا لعمله وشعوراً بمسئوليته ، وبدأ يذوق طعم الحياة الكريمة . وبدأ يحس بالسعادة ومتع الحياة التى كان محروما منها والتى كان يرى غيره غارقا فيها الى أذنيه . ومتمتعا بها طول حياته ...

ومن الشركات التى اممت (الشركة العامة لاستيراد الشاى وتعبئته) وقد كان ثروت نجل لطفى الدلنجاوى يشغل منصب نائب المدير العام لهذه الشركة ودخل القطاع العام هذه الشركة ليبحث شئونها ، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنها ويقف على ميزانيتها ولقد وجد مندوب القطاع العام كثيراً من المهازل كما وجد الوانًا من المآسى تدمع لها العين ، ويندى لها الجبين ، ويخجل منها الضمير الحى ، وجد ان نائب المدير ثروت لطفى الدلنجاوى لايحمل اى مؤهل دراسى غير الشهادة الابتدائية ووجد عمله بالشركة لونًا من التسلية وشغل الفراغ ، وتناولا لأقداح القهوة والشاى وتدخينا للسيجار الفاخر ، ثم وجد راتبه الرسمى مائة وخمسين جنيها فى الشهر يضاف اليه مصاريفه الخاصه أو مصاريف غير منظورة كما يطلق عليها وهى مائتا جنيه شهريا !! وحاول مندوب القطاع العام معرفة سر ذلك الاغداق على نائب المدير فعرف أن أباه لطفى الدلنجاوى كان يملك مقداراً كبيراً من أسهم الشركة، ثم وجد مأساة « صابر محمود » وزملائه الأربعة الذين طردهم ثروت !!

وأراد المندوب أن يصل إلى عمق هذه المأساة والظروف التى لابستها فعرف أن هؤلاء الخمسة من العمال أحسوا بالظلم ، وحاولوا تخفيفه فصب عليم العذاب صبًا ، وشعروا بأن كدهم يتمرغ به فى النعيم غيرهم ، ورأوا أن طريق حياتهم ملىء بالاشواك التى أدمت أقدامهم ، وبالصخور التى تحطمت عليها ادميتهم ، وبالذل الذى أذهب نفوسهم حسرات .. وعرف مندوب القطاع العام أن ذنبهم — إن كان لهم ذنب — انهم حاولوا ابداء رأيهم للسيد ثروت لطفى الدلنجاوى نائب المدير العام ، واذا ثروت بعقليته المستبدة ، وعنجهيته الكاذبة ، وتعاليه الأجوف يطردهم فوراً من الشركة ، وهو يعلم أن مصيرهم ومصير من يعولون الى

التخبط فى دروب الحياة الوعرة ، ومسالكها الملتوية المعقدة ، وظلامها الحالك الدامس ، ولن يضيره ذلك كله فى شىء فما دام راتبه ومصاريفه يتجاوز ثلاثمائة وخمسين جنيها شهريا ، وما دام نعيم الحياة يسعى اليه سعيا ، وما دامت مفاتنها تتسابق اليه تسابقا ، فلا تثريب عليه ولا حرج . فليفصل صابر وزملاؤه ، ولتفعل بهم الاقدار ما تشاء ... رأى مندوب القطاع العام ذلك كله فكان أول قرار اتخذه هو الاستغناء عن السيد ثروت لطفى الدلنجاوى وعن عمله بالشركة ثم القرار الثانى وهو يقضى بعودة صابر وزملائه الى العمل فى الشركة فوراً .

وفجأة وجد ثروت نفسه متعطلا من الراتب الضخم والمصاريف السخية ووجد مظاهر البذخ والنعيم والترف تنفض من حوله وتتقلص عنه ، وبدأت سماء حياته تتلبد بالغيوم ، وشاب صفاءها الأحزان والهموم ، وأحس لأول مرة فى حياته بوطأة الطرد وذل الحرمان ، وعرف لأول مرة فى حياته معنى ضيق ذات اليد . . . ولم يكن ثروت يأخذ من يومه لغده ، ولا من غناه لفقره ، ولا من جاهه لذله ، وكأنه قد اعتمد اول الامر على ثراء ابيه الواسع ، ولكن الاقدار شاءت ان يتقلص ذلك الثراء العريض . . . .

وحار ثروت فى أمره . . ماذا يفعل ؟ ومن أين يبدأ ؟ وكيف يشق لنفسه طريقا فى الحياة ؟ أيطرق باب الوظائف ؟ وماذا تجديه الشهادة الابتدائية إذا طرق ذلك الباب ؟ ثم كيف يعمل مرءوسا وقد كان إلى الأمس القريب نائبا للمدير العام للشركة ، لا يعصى له أمر ، ولا يخالف له رأى ؟ هل يطرق ميدان

العمل الحر ؟ ولـكن ذلك الميدان يحتاج أول ما يحتاج إلى خبرة وإلى رأس مال وهو من الأمرين سفر اليدين . . .

واذاً فليس إلى ذلك الميدان من سبيل . . هل يظل متعطلا ؟ ولـكن كيف يعيش ؟ وكيف يأكل أو يلبس لو اضطر ان التعطل ؟ . .

وعاد ثروت إلى والديه ليقيم بينهما أياما لايدرى هل تطول أو تقصر ولـكن الذى يعلمه تماما أنه سوف يقيم معهما إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا . . . وعرف أثناء اقامته فى قصر والده أن الأستاذ « عثمان منصور » أصبح مهندساً زراعيا وأنه عين مندوبا للاصلاح الزراعى فى الارض التى كان يملـكها والده فشعر أنه قزم صغير بجانب العملاق الاستاذ عثمان منصور ، أحس ذلك وهو جالس أمام باب الحـديقة التى تحيط بقصر أبيه ، ثم طاف بذهنه كثير من الصور الماضية ، وتذكر (الغلام عثمان) أيام أن كان كل أمله أن يسمع اسمه يرد على لسان السيد ثروت الدلنجاوى . عثمان ابن أحد الاجراء الـكادحين فى ضيعة أبيه يصبح الآن مهندسا زراعيـا ! ! عثمان الذى نشأ فى كوخ من اللبن ، وافترش الحصـير على المصطبة ، وتدثر أطمارا بالية واحاط به بؤس الحياة من كل جانب فأخـذ يشق طريقة بين تلك الصعـاب ويتلمس النور وسط تلك الظلمات الحالـكه ، ويتعلق بخيط رفيع من الأمل يقاوم به ذلك التيار الجارف من اليأس والقنوط ثم تمضى به الحياة على هذا الضيق . ويمضى هو معها بعزم صادق ، وهمة عالية ، وقلب كبير ، ونفس لا ترضى الدنية ، ولا تعرف الاستسلام ، ويظل يقاوم ويقاوم حتى يحصل على (بـكالوريوس كلية الزراعة) ثم يصير مهندسا زراعيـا ! ! واما ثروت

الدلنجاوى أكاد أبكى الآن دما ، وأكاد أتميز من الغيظ ، ومن يدرى فقد لا أجد يوما حتى ملعقة من خشب بينما ولدت وفى فمى ملاعق من ذهب!! ماذا أفعل؟ واى طريق اسلك ؟ وكيف الخلاص ؟ . . .

وخيل الى ثروت انه يسمع صوتا يحدثه من بعيد :

يا ثروت : فاتك الغرس فليس لك نصيب فى الحصاد ، يا ثروت ملأت الدنيا عبثا ولهوا ومجونا ، فاشرب كأسها الآن بؤسا وحزنا وهموما ، يا ثروت لم يعرف قلبك الرحمة بصابر وزملائه، فلن تعرف قلوب الناس رحمة بك أو عطفا عليك ، يا ثروت شربت كأس النعيم حتى الثمالة فاشرب الآن كأس الشقاء حتى الثمالة . . يا ثروت ان الحياة قصاص ، (ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب) . . .

فانقبضت نفس ثروت انقباضا شديدا ، وخيل اليه كأن (حبلا من مسد) يأخذ عنقه فازداد اختناقا، وكأن قيدا من حديد شد على قدميه فلا يستطيع حراكا ، وكأن غشاوة من السواد غطت عينيه فهو لا يبصر ، وكأن رأسه وقد اثقلته الهموم كاد يسقط فألقى به بين كفيه ، وأطرق شاردا مذهولا ، ولم يفق الا على صوت يناديه فى رفق ، ويدتهزه فى هدوء ، فرفع راسه إلى اعلى وفتح عينيه ونظر فاذا به يجد الأستاذ « عثمان منصور » فعاد إلى ما كان عليه من إطراق وذهول وعيناه مغمضتان ، ورأسه محمول على كفيه ، ولكن الاستاذ عثمان ما زال مترفقا به حتى استطاع أن يغادر به ذلك المكان إلى مكان آخر . . الى شاطىء الترعة

التى يطل عليها قصر أبيه وانتحى به جانب الطريق وأخذ يخفف عنه بعض ما يحس به قائلا له :

ـ ياسيد ثروت لاتبتئس ولاتحزن والرجل هو الذى اذا حز به أمر ، أو اشتد عليه كرب أو تعاورته الخطوب واستهدفته النوازل كان أصلب عودا، وأشد عزما ، وأكثر احتمالا حتى اذا هدأت استطاع أن يخرج منها وفيه بقية تعنيه على الحياة وتساعده على اقتحام صعابها والتغلب على مشقاتها .

ـ أشكرك ياأستاذ عثمان على مواساتك لى فيما ألاقية ، وتخفيفك عنى بعض ما أعانيه ، ولـكن الذى أحب أن أوكده لك أن ما يزيدنى ألما وهما هو أن المستقبل بالنسبة لى لا أمل فيه ، ولا خير يرجى منه ، ولقد وجدت نفسى وأنا مستغرق فى التفكير فى شئون الحياة كمن ركب سفينة وعليها صناديق الذهب والفضة وهو لايملك غير السفينة وما حملت وفجأة هاج البحر وماج فابتلع السفينة وماعليها وبقى صاحبها تتقاذفه الأمواج على بعد من الشاطىء ويصارعها حبا فى الحياة وإن كان على يأس من النجاة فلا هو حى بين الناس فيفرح ويسر، ولا هو ميت فيجد فى الموت الراحة والمستقر . .

ـ هوّن على نفسك وإياك والاستسلام لليأس ثم خبرنى بربك ماذا أنت فاعل بعد ما حدث لك ؟

ثم يسود الصمت بينهما وقتا غير قصيرو يقطع الاستاذ عثمان ذلك الصمت قائلا :

ـ ياسيد ثروت لقد استطعت أن أدخر من راتبى خلال السنوات الماضية ما يقرب من مائتين وخمسين جنيها ، وإنه ليسعدنى جدا أن تتقبل ذلك المبلغ منى

قرضا حسنا لتبدأ به حياتك من جديد فى ميدان التجارة ، واختر لنفسك ما تحب من جوانب ذلك الميدان ، وكن على يقين أنه لن يعلم أحد بذلك ، وكل ما أرجوه لك بعد ذلك هو التوفيق والرشاد .

ـ (ثروت هامساً لنفسه) مائتان وخمسون جنيها ! ! ! مائتان وخمسون جنيها آخذها قرضا حسنا من الأستاذ عثمان منصور وأختار لنفسى ما أحب من جوانب ميدان التجارة . ثم يدور ببصره ذات اليمين وذات اليسار . . .

ـ ماذا تقول ياسيد ثروت ؟ وما سر شرورك هذا الذى أراه .

ـ لاشيء ياأستاذ عثمان لا شيء وإننى أشكرك ، ويسعدنى أن أقترض منك كما قلت ولعلنى أوفق فى شق طريق . .

وعاد الاثنان معا حتى اقتربا من قصر السيد لطفى الدلنجاوى فحيا الأستاذ عثمان السيد ثروت مستأذنا فى الانصراف بعد أن وعده أنه سوف يحضر له المبلغ غدا إن شاء الله . . . .

ودخل ثروت قصر أبيه ، ذلك القصر الذى فقد كثيرا من أسباب الزينة والجمال وزال عنه كثير من معالم الأبهة والجلال فلم يعد إلا بناء تنطق حيطانه بأن صاحبه كان فى بسطة من العيش ،وسعة من النعيم ، ثم قست عليه ظروف الحياة بعض القسوة ، وبدت آثار تلك القسوة فى كثير من مظاهر حياته حتى حيطان قصره . .

ولم يكد ثروت يخلو بنفسه فى حجرته حتى استبدت به الأفكار ، وألحت عليه

المواجس ، وكاد ان تأخذه العزة بالاثم فيرفض ماعرضه عليه الاستاذ عثمان من القرض الحسن ولكنه قال :

لابد لى أن أقبل ولابد أن آخذ بيد الخجل ذلك القرض .

وفى اليوم التالى قدم الأستاذ عثمان له المبلغ الذى اتفقا عليه وتناوله السيد ثروت وشكر للأستاذ عثمان جميل صنعه وعظيم معروفه . .

ثم بدأ يتصل بميدان التجارة عن كثب ويراقب أحواله فى وعى واهتمام ، ثم قرر أن يطرق الميدان فى أكثر من جانب ، وقرر أن يعمل فى يقظة وحذر وانتباه فتاجر فى الحبوب ، وتاجر فى القطن . . إلخ ، ومضت الأيام بة ثقيلة وغير مجزية أول الأمر ، ثم بدأ يحقق بعض الأرباح . ثم أخذت الأرباح فى الزيادة حتى تحسنت حالته المادية وفكر فى رد المبلغ الذى أقرضه له الأستاذ عثمان وذهب إليه فى منزل والده منصور ذات مساء فاستقبله الاستاذ عثمان هاشا له حفيا به ، مقبلا عليه . وكانت هذه أول مرة يدخل فيها السيد ثروت ذلك المنزل بل لعله لم يكن يخطر على باله أنه سيدخله يوما ما، ولقد رأى فيه بيتا من بيوت الفلاحين ، حيطان من اللبن ، وطلاء من الطين، وسقف من (الغاب) رصت على كتل خشبية وأرض مغطاة بطبقة من الطين ، وفى المندرة أعد منصور دكتين على كل منهما قطعة من الحصير ليجلس عليها الضيوف وعلى مرأى العين ترى حظيرة الماشية . وتسمع خوار البقرة ، وثغاء الشاه ، ونهيق الحمار ، وبين تلك الضجة الصوتية تضيع بعض كلمات الاستقبال التى استقبل بها ثروت من صاحب الدار . . واتخذ السيد ثروت مجلسه فى المندرة على إحدى الدكتين وقد خشى الأستاذ عثمان أن يـــــكون

متضايقاً من تلك المناظر التي يراها وفى ذلك إحراج لهما معا فقال له :

ـ ياسيد ثروت إننا متاسفون حيث أن البيت لايليق باستقبالكم، وسوف إقيم لنا مبنى جديدا فى وقت قريب . . .

ثم أقبل السيد منصور وحيا السيد ثروت قائلا :

ـ أهلا وسهلا مرحبا وألف مرحب . لقد زارنا النبى الليلة ، أهلا أهلا بالسيد ثروت :

ـ أهلا بك ياعم منصور .

ـ سيادتك شربت شايا .

عثمان ـ لقد شرب قدحا واحداً .

منصور ـ لابد من شاى وشاى ، ومن قهوة أيضا ، بل الواجب أن نذبح خروفا الليلة تكريما للسيد ثروت . . . . ثم ينادى قائلا .

ـ سعدية . سعدية . ياسعدية . فيسمع الاجابة :

ـ نعم ياأبى .

ـ أعدى لنا قهوة بسكر ياسعدية .

وذهبت سعدية لتعد القهوة لضيف والدها السيد ثروت الدلنجاوى . .

ـ وفجأة أخذ السيد ثروت يطوى الزمن فى سرعة البرق ويقلب صفحات

الماضى ، ويستعرض ذكرياته ، ووجد نفسه فى قصر القاهرة ، وسعدية بنت منصور تعد له القهوة لتقدمها إليه فى حجرة نومه ! !

وعندئذ ازدحم قلبه بالأحاسيس المختلفة والمشاعر المتباينة ، فهو يتذكر نفسه آنذاك وحشا مفترسا ، أو ذئبا مسعورا يريد أن يحطم الفتاة الوادعة سعدية فيسخط على نفسه أشد السخط ، ويضيق بها أشد الضيق ، ويتذكر سعدية وهى تتأبى عليه، وتعرض عنه، وتذود عن عرضها وشرفها فى معركة كانت كل أسلحتها فى يده ومع ذلك انتصرت فيها الفتاة العزلاء من كل سلاح إلا من إيمانها بربها ، وحرصها الشديد على كرامتها ألا تهان . وعلى ذيلها ألا يدنس ، وعلى عفتها ألا تمس ويتذكر سعدية وقد وقفت تواجهه آنذاك وفى صوتها الهادىء زئير الأسد ، وفى نظراتها الساخطة سهم قاتل وفى صفعتها له على وجهه طعنة نجلاء فيعجب بها الآن أشد الاعجاب ، ثم يترك قصر القاهرة ، ويعود فى سرعة البرق إلى دار منصور والد سعدية فيرى سعدية تعد له القهوة أيضا ، ولكنه الآن لاسلطان له عليها فهى ليست خادمة عنده . ولن يستطيع ان ينظر إليها كما كان ينظر فى قصر القاهرة ...

إنها الآن سعدية شقيقة الأستاذ عثمان منصور العملاق . شقيقة الرجل الذى مد إليه يده فى الشدة ، وانقذه بماله من الحفرة التى كان على شفا جرف منها ' ثم إنها سعدية التى عرفها عفيفة شريفة لاتخضع لسلطان وإن استبد ، ولا تغريها الهدايا وإن توالت ، ولا الوعود وإن كثرت . ولا يخيفها الوعيد وإن أنذر بالشر المستطير . . وهنا كاد يذوب خجلا . . .

وانتبه السيد ثروت على صوت السيد منصور يقدم له القهوة قائلا له :

ـ اتفضل ياسيد ثروت .

فأخذ منه القهوة وارتشف منها رشفه طويلة نزلت ـ رغم سخونتها ـ بردا وسلاما على قلبه فهى من صنع سعدية ، وكفى بذلك سببا .

ثم وضع يده فى سترته وأخرج منها مائتين وخمسين جنيها وقال للأستاذ عثمان: اتفضل يا أستاذ عثمان هذا المبلغ ، ولست أدرى كيف أشكرك وكما يقال . العجز عن الشكر أبلغ آيات الشكر . . .

ـ يا سيد ثروت ليس فى الأمر ما يستحق الشكر ويهمنى ان أوكد لك أننى لست فى حاجة إلى هذا المبلغ الآن ، ويسعدنى أن يظل عندك حتى إذا احتجت إليه طلبته .

ـ أرجو أن تأخذه الآن ، وأحمد الله جل شأنه فقد يسر لى وزادنى بسطة فى المال من التجارة . فأخذ الأستاذ عثمان المبلغ منه .

ثم قال منصور لولده عثمان :

ـ ياأستاذ عثمان . حاول أن تقنع سعديه بأن تخلع ملابس الحداد التى تلبسها والتى تصرعلى ارتدائها دائما ، لأنى كلما رأيتها عليها أتألم من أجلها ، وأرثى لحالها:

ـ (ثروت) هل يسمح لى بسؤال ؟

ـ تفضل . . . تفضل يا سيد ثروت .

ـ على من لبست سعدية السواد ؟

ـ على زوجها المرحوم عبد الدايم فقد توفى عليه رحمة الله ، وبكيناه جميعاً ، وبكته سعدية ما شاء لها البكاء ، بل ومازالت تبكيه حتى الآن . . ولو أن ميتا يفدى بالدموع التى تنهمر عليه لكان فيما ذرفته سعدية من الدموع فدية له أماوقد ذهب عبد الدايم إلى مصير كل حى ومآل كل ذى روح فلا حيلة لنا فى ذلك . .

ـ ألهمها الله الصبر وعوضها فيه خيرا ، ويبدو أنها كانت وفية له فى حياته وتأبى إلا أن تكون وفية له بعد موته .

ـ ثم يستأذن السيد ثروت فى الانصراف ، ويسمح له رب البيت ثم ينصرف مودعا بالاحترام والتقدير بعد أن طلب من الأستاذ عثمان ووالده أن يتفضلا بزيارته وزيارة والده فى القصر ، ووعده السيد منصور والأستاذ عثمان بهذه الزيارة قريبا جدا . .

انصرف ثروت الدلنجاوى ، ولكن قلبه أحس بسعدية تعود إليه من جديد . . . أحس بها تملأ جوانبه يوما بعد يوم كما ملأته فى أيام مضت ثم أخذ يفكر فى ذلك الحب الذى عاد الى قلبه ، والذى أخذ يحس بقوته وعنفه . ماذا يفعل حياله ؟ . هل يضرب على قلبه حجابا من فولاذ حتى لا تتسرب إليه نسمة تحمل أى خبر عن سعدية ؟ وهب أنه حاول ذلك . فهل يستطيع ضرب ذلك الحجاب ؟ ولقد حاول ثروت أن يتناسى سعدية ، ولكن حبها كان يلح عليه دائما ، وكان يدعوه إلى اتخاذ قرار حاسم فيه ، وماذا عسى أن يكون ذلك القرار غير الزواج منها ؟ .

ووقف ثروت أمام فكرة الزواج من سعدية مترددا بعض الشيء أول الأمر

هل يتزوجها وهي ثيب ؟ وهل يتزوجها وقد كانت خادمته يوما ما ؟ وهل يتزوجها وقد صفعته على وجهه ذات مساء ، والحت عليه تلك الأسئلة تريد نفسه أن تعرف الاجابة عنها ، ويريد قلبه أن يطمئن إلى تلك الاجابة وقال .

أما أنها ثيب فلا ضير عليّ في ذلك . فلها من جمالها ، وروعة أنوثتها ، وحبي لها ؛ ما يغريني بها ، وأما أن سعدية كانت خادمة لي وكنت سيدها يوما ما . فقد انتهت تلك الأيام إلى غير رجعة فليس بيننا اليوم سيد ومسود بل نحن جميعا أبناء وطن واحد ، ونحن جميعا سادة في وطننا ، وأما أنها صفعتني ذات مساء فان تلك الصفعة كان لابد أن تكون فهي تدافع عن شرفها وقد استنفدت معي كل وسائل اللين في الرد ، والرفق في الصد فلما لم تجد سبيلا إلا ان تصفع فعلت . . بل إني أعتبر تلك الصفعة وساما شرف زينت به سعدية جبينها وان الفتاة التي تأبى ان تخون ضميرها وترفض ان تدنس شرفها ، وتخاف أن تغضب ربها لجديرة بأن تكون الزوجة الشريفة التي يجد الزوج في شرفها القلعة الحصينة التي تتكسر دونها سهام الاغراء ، وتعجز عن الوصول اليها اسباب الانحراف .

ولم يكد السيد ثروت ينتهي من ذلك الحوار النفسي حتى قرر أن يتزوج سعدية . . .

جلس الأستاذ عثمان مع والده ذات مساء يتجاذبان أطراف الحديث ، ثم قال لوالده :

ـ لقد وعدنا السيد ثروت بالزيارة عندما طلب منا أن نزوره ـ فما رأيك في تلبية هذه الدعوة ؟

ـ لامانع لدى من ذلك ،

ـ ومتى تحب أن تكون ؟

ـ لتكن فى الساعة الخامسة من مساء الخميس القادم .

ـ علينا أذا أن نرسل له من يخبره بذلك الموعد ، ويعرف رأيه فيه

ـ كما تحب .

وأرسل الأستاذ عثمان رسولا الى قصر السيد لطفى الدلنحاوى ليخبر السيد ثروت بموعد الزيارة ، وما كاد يعلم بها حتى أبدى للرسول ترحيبه وانتظاره للاستاذ عثمان ووالده فى الموعد . وعاد الرسول الى الاستاذ عثمان وأخبره بما حدث .

وفى الموعد المحدد ذهب السيد منصور وولده الأستاذ عثمان الى قصر السيد لطفى فوجد السيد ثروت ينتظرهما فى غرفه الاستقبال . . وكانت هذه أول مرة يدخلان فيها تلك الغرفة ، وأخذ منصور ينظر الى سقف الغرفة فيجد النقوش الجميلة الرائعة وينظر الى الحيطان فيرى عليها ألوانا أخرى من الزينة ، ويرى خطوطا بارزة مستقيمة ، وأخرى منحنيه ، وقد غطيت كلها بطلاء كأنه النضار ، ، يرى الستائر الحريرية وقد أسدلت على النوافذ ، ووضعت الارائك الضخمة فى الحجرة ، وفرشت أرضها بالبسط النادرة ، ثم يجول بنظره مرات ومرات فى الغرفة كلها وماحوت فيرى فيها دنيا من العز والثراء والجاه ، ولكن شمسها تزحف الى الغروب ، يراها كحديقة تفتحت أزهارها ، وأورقت أغصانها ثم تعطل ارواؤها فذهبت نضارتها ، وذبلت أوراقها ، رآها كالدينار الذهبي المسيح ، أو كزهرة وضعت تحت ناقوس فهى محرومة من النسيم العليل ، و الطل الندى . وأخذ السيد ثروت يحيي ضيفيه ويظهر

لهما من البشاشة والتلطف ما جعل كلا منهما يشعر وكأنه فى داره الخاصة ، وأقبل خليل يحمل صينية وعليها أكواب الشاى ، وتناول الحاضرون تلك الأكواب ..

ثم قال الأستاذ عثمان للسيد ثروت :

- وكيف الحال الآن يا سيد ثروث ؟

الحمد لله يا أستاذ عثمان ، الدنيا تسير ، والركب يمشى ، والحياة تمضى من حولنا على خير ما نحب .

- ولعل نفسك الآن أكثر هدوءاً ، وقلبك أكثر اطمئناناً وأعظم استقراراً .

- إنه ليخيل إلى يا أستاذ عثمان أنى أصبحت أفهم الدنيا فهماً صحيحاً ، وأنها قد اتضحت لى على حقيقتها .

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أن حقيقة الحياة فى نظرى الآن هى نفس راضية ، وصحة شاملة ، وحب وتقدير متبادل بين المرء وبين غيره من الناس .

- أرجو أن تكون قد أحسست بتلك المعانى إحساساً كاملا يا أستاذ ثروت ، وأن تكون راضياً عن واقعك الجديد .

- كل الرضا والحمد لله . . .

وفجأة يدخل السيد لطفى الدلنجاوى فيقف الحاضرون تحية له ويردون عليه السلام ، ويصافحونه ، ثم يجلس على أريكة من أرائك الحجرة الكثيرة ويرحب بالضيفين قائلا :

ـ أهلا أهلا . . شرفتنا يا سيد منصور . . شرفتنا يا أستاذ عثمان ، حصل لنا ألف بركة ، ثم يسأل الأستاذ عثمان :

ـ كيف حال العمل فى أرض الاصلاح الزراعى يا أستاذ عثمان ؟

ـ على أحسن حال .

ـ أعتقد أن إخواننا الفلاحين وقد أصبحوا ملاكا للأرض والحمد لله يبذلون كل ما يستطيعون من جهد والذى لا شك فيه أن المحاصيل الزراعية المختلفة زادت بنسبة كبيرة عن ذى قبل .

ـ هو ذاك يا سيد لطفى .

ـ ثم الجمعيات التعاونية المنتشرة فى جميع القرى لا شك أنها تمد زملاءنا الفلاحين الكرام بكل ما يحتاجون إليه من سماد وغيره ، وأجهزة التوجيه الزراعى والارشاد التعاونى كلها تتعاون فى إنهاضهم والعمل على زيادة دخلهم .

ـ لا شك أن ذلك كله له أثر كبير فى زيادة الانتاج الزراعى ، وزيادة دخل الفلاح ، والحق أن ثورتنا المباركة جعلت من أهدافها النهوض بالفلاح ورد اعتباره إليه .

ـ يا أستاذ عثمان : الفلاحون فى جمهوريتنا العربية يمثلون نسبة كبيرة من السكان . ولذلك فان كل خير يصيبهم إنما يصيب الغالبية العظمى من الشعب . . وإنى لأدعو الله من أعماق القلب أن يبارك لنا جميعاً فى ثورتنا لتصل بنا إلى تحقيق جميع أهدافها الجليلة .

ثم يفاجأ منصور وولده بدخول السيدة كريمة حرم السيد لطفى ويقف كل منهما لتحيتها ، ثم تتخذ مجلسها بينهم جميعاً وتشاركهم فيما يتحدثون فيه، ثم توجه الكلام للأستاذ عثمان :

— ما رأيك فى العمل الحكومى يا أستاذ عثمان ؟

— بالنسبة لى عمل هادف وفيه متعة فنية .

— أيهما أحب اليك العمل الحكومى أو العمل الحر ؟

— العمل الحر إذا توفرت أسباب نجاحه وكان فيه إسهام فى البناء الوطنى والتقدم الشعبى فلا شك أننى أوثره على العمل الحكومى

— وهل أنت مستريح لعملك هذا بين الفلاحين وحقولهم ؟ وفى ذلك الريف المتناثر ؟ وهل تفضل العمل فى المدينة ؟

— إن سكان الريف يمثلون أكثرية شعبنا ، وهم يحتاجون إلى كثير من الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية والرياضية .. الخ فاذا آثر الشباب المدينة والعمل فيها ، وأعرضوا عن العمل فى الريف فمن يؤدى ذلك الوجب إذاً ؟ ! ولذلك فأنا أرى أن العمل فى الريف وفى مجالاته المختلفة أمر لا بد منه بالنسبة لكل شاب أهل للعمل فى تلك المجالات ..

ثم إن فى جمال الريف ، وفى غنائه بالمناظر الطبيعية الخلابة ، وفى بعده عن ضجيج المدن وصخبها ... فى ذلك كله ما يحبب إلى العمل فيه ...

— إذاً فأنت تؤثر العمل فى الريف ؟

ــ نعم .

ــ وتؤثر عدم الزواج أيضاً ؟

ــ لا .. الزواج مسألة أخرى ، ولست من أنصار الاضراب عن الزواج أو التأخير فيه ، ولولا أنني حاولت منذ أن وظفت أن أمد والدى ببعض المساعدات المادية لأرد لهما بعض الجميل .. لولا ذلك لتزوجت منذ وقت غير قصير ...

منصور ــ يا بنى الحمد لله ، نحن لم نعد نحتاج الآن شيئاً ، وجزاك الله خيراً يا ولدى . وكل ما أتمناه أن أفرح بك ، فان أسعد يوم فى حياتى يوم أن أراك وقد تزوجت بنت الحلال ..

وفى هذه اللحظة تدخل جيهان وقد لبست بعض ثيابها الفاخرة ، وازينت فبدت فى جمال رائع ، وسحر أخاذ ، ثم جلست وأخــــذت تحيى الضيوف قائلة : مساء الخير يا عم منصور . أهلا يا أستاذ عثمان ، فرد كل منهما تحيتها ، ثم قالت :

ــ يا أستاذ عثمان . أيهما أكثر ربحاً .. القطن أو القمح ؟

ــ هل تسمحين لى بملاحظة يسيرة على السؤال ؟

ــ تفضل .

ــ أرى أن تــكون صيغة السؤال : أيها أكثر ربحاً : القطن أو القمح والأذرة ؟ لأن القطن يمثل فصلا زراعياً، والقمح والأذرة يمثلان معاً فصلا آخر ، وعلى أية حال فالمسألة متوقفة على وفرة الانتاج ، ووفرة الانتاج تحتاج إلى العناية التامة بالزراعة ، وإغداق الأسمدة المفيدة عليها ، وبصفة عامة فالقطن أوفر ربحاً من القمح والأذرة ...

وبعد مدة طال فيها السمر وطاب استأذن الأستاذ عثمان ووالده في الانصراف، فسمح لهما السيد لطفي الدلنجاوي بعد أن رجاهما أن تتكرر هذه الزيارة . . .

عاد الأستاذ عثمان إلى دار أبيه تراوده فكرة الزواج ، ثم وجد نفسه يفكر في جيهان . . يفكر في جمالها الذي لم تعبث به الأيام ، ولم تنل منه أحداث الليالي ، فان شبابها مازال غضا ، وأنوثتها مازالت فاتنة ، ونظراتها مازالت ساحرة ،وفكر في أنها مطلقة ، وأن بعض الناس قد يظن أن تطليق المرأة أمر ينزلها بعض الشيء عن عرش أنوثتها ، وأنها تصبح معه كزهرة ناضرة متفتحة قد مست أوراقها يد ، واستنشقت عبيرها أنف ، واشتعذب رحيقها ثغر ، فلم تعد تلك الزهرة بكرا ولم تعد ذات رحيق مختوم . . .

ولكن ما لهؤلاء البعض يذهبون في ظنهم إلى هذا الحد ، ومادام الطلاق أمرا أحله الله وإن أبغضه ، فلا شأن لى بهذا الظن . . ومن يدرى ؟ فقد يكون في الطلاق بالنسبة للمرأة عظة وعبرة ، وقد يكون فيه درس وخبرة فاذا ما بنت حياة زوجيه جديدة كانت في حياتها أسعد حالا ، وأهنأ بالا بالنسبة لها ولزوجها . .

وفكر الأستاذ عثمان في أن جيهان كريمة السيد لطفي الدلنجاوي ، وأنها قد تعتز ذات يوم بمجد أبيها التالد ، وتتذكر ذات يوم أنه كان جبارا عنيدا ، وأنه كان يوما ما السيد المطاع في الضيعة وأن منصورا والد عثمان كان أحد عبيده الذين لايعرفون إلا الطاعة العمياء ويفعلون ما يؤمرون . . .

وفكر الأستاذ عثمان في ان جيهان قد تذكر يوما أنه نفسه كان غلاما في ضيعة أبيها ، ولم تكن عينه تجرؤ أن ترتفع إليها ، ولم تكن نفسه تحدثه بالتطلع

نحوها ، وأنها لذلك كله قد لا تستقيم حياتها الزوجية ، ثم أخــــذ يتلمس الأسباب التى تبعـــــد عن ذهنه تلك الأفـكار . . فقال لاشك أن جيهان علمت ان الزمن قد تغير من حولها فلم يعد لأبيها ضيعة كما كان ، ولم يعد له فيها عبيد ورعيان بل ان زحف الثورة المقدس وإصلاحها الشامل ، ويدها القوية التى بنت بها مجتمعنا على اسس جديدة سليمة راسخة قد حولت هؤلاء العبيد الى سادة وجعلتهم ملاكا كأبيها تماما ، وانها قد حطمت الاقطاع والاقطاعيين ، وانها قضت على الاستغلال رالمستغلين، فنفضت عن ابيها جبروته وكسرت أنياب بطشه، واطاحت بسلطانه وطغيانه ،وحولته إلى إنسان يفهم الحياة على حقيقتها ، ومواطن صالح يعيش فى وطن عزيز كريم

ثم قال . ما الذى يمنعنى اذاً من ان اتقدم الى خطبة جيهان واغلب الظن ان اباها لن يمانع فى ذلك بل قد يرحب به ، ولعل والدتها كريمة هانم حينما تحدثت معى ومع ابى وحينما جلست فى القصر ترحب بنا ، وتخلق مناسبات الحديث بينى وبينها خلقا ، لعلها بذلك كانت تعطينى المقص الذى اقص به الشريط ايذانا باِفتتاح ذلك الطريق ، وكانت تمنحنى القوة التى تدفعنى الى السير حتى اصل الى نهايته ولا بد لى اذاً ان اعرض الأمر على ابوى وسعدية . ،

وذات مساء قال الأستاذ عثمان لوالديه :

ــ لقد رغبت فى الزواج من جيهان ابنة السيد لطفى الدلنجاوى فما رايك يا ابى :

ــ والله يااستاذ عثمان انالاأمانع فى ذلك ، بل ارحب به ثم لتعلم انك انت الذى

سوف تتزوج فسل نفسك أولا : هل لديك الرغبة الصادقه فى ذلك ؟ وليس لى أن أفرض عليك فتاة معينة تتزوجها ، وانه لمن الخطأ أن يحاول أب ذلك مع ابنه وبخاصة اذا كان الابن مثقفا وقد بلغ مبلغ الرجال، ولاشك ان الذين يرغمون ابناءهم على الزواج من شخص معين لا يرضون عنه ولا يحبونه لاشك ان هؤلاء الآباء حمقى ولا يحسنون بذلك صنعا . . .

وكانت ست الدار تسمع كلام زوجها وتفرح به فرحتين :

اما الأولى ففرحتها بتفكير ولدها فى الزواج وعزمه عليه ، وما أسعد الأم يا بنها حينما يفكر فى الزواج ويهتم به ، ويحفل له ، فهى ساعية معه فى ذلك سعيا كريما ، وهى دافعة له دفعا قويا حتى إذا قضى الأمر وتم الزواج كانت من أكثر الناس ضيقا بزوجة ابنها بل وبابنها أيضا فى أكثر الأحايين وعذرها فى ذلك أن حب ابنها لها شاركها فيه غيرها واذاً فهى تكيد له ولزوجة فتجعل حياتهما جحيما لا يطاق وعذابا لا يحتمل ، ولو أنها نظرت بعقلها لزواج ابنها لعلمت أن هذه طبيعة الحياة ، وسنة الله فى خلقه ، (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وأما الفرحة الثانية التى أحست بها ست الدار فهى ان منصورا أصاب الحقيقة حينما قرر ان يترك لابنه حرية اختيار الفتاة الى يريدها زوجا له . .

واما سعدية شقيقة عثمان فقد تهلل وجهها ، وعمه البشر وقالت لأخيها :

ـ نعم ما فكرت فيه يااستاذ عثمان ، وانه لاختيار موفق ان شاء الله . وان اليوم الذى اراك فيه عريسا تزف اليك جيهان شقيقة السيد ثروت ، اقول ان ذلك اليوم سوف يذهب عنى الحزن ، ويزيل عنى الهم ، ويعيد الى قلبى امله فى الحياة .

ولما اطمأن الأستاذ عثمان إلى موافقة أسرته قرر أن يحدد موعدا يذهب فيه أبوه معه إلى قصر السيد لطفى الدلنجـــــاوى زائرين على أن يسوقهم الحديث إلى طلب يد جيهان . .

وفى مساء يوم ذهب منصور وزوجته ست الدار وابنه عثمان إلى قصر السيد لطفى الدلنجاوى حسب الموعد الذى اتفقوا عليه من قبل . .

ودخلوا غرفة الاستقبال فوجدوا السيد لطفى وزوجته السيدة كريمة هانم ، والسيد ثروت وقد فرحوا جميعا للقائهم ، وإحسنوا استقبالهم مرحبين بهم ، وبعد قليل انضمت جيهان إلى المجلس وأخذ الجميع يتسامرن فى مرح وغبطة . . .

ثم قالت ست الدار موجهة كلامها الى السيدة كريمة :

ـ ياست هانم نريد أن نفرح بالست جيهان .

فصمتت كريمة قليلا ثم قالت :

ـ ومن يكره زواج ابنته ياأم عثمان عندما يتقدم إليها العريس المناسب وهنا أحست جيهان بشىء من الحرج فاستأذنت وصعدت إلى الطابق الثانى من القصر ثم قال منصور :

ربنا يرزقها بابن الحلال الذى يناسبها الست جيهان تستاهل كل خير . . وتوضع على الجرح يبرد ، وكفاية أنها بنت الأصول وهمت ست الدار ان تتكلم مرة أخرى ولـكن زوجها نظر اليها نظرة لزمت الصمت بعدها بعض الوقت . . ثم قال السيد لطفى الدلنجاوى :

ـ نحن الآن والحمد لله أسرة واحدة . . اليس كذلك ياست الدار ؟

ـ (ست الدار) طبعا ياسعادة البيك . . وأبو عثمان وانا والأستاذ عثمان ربنا يعلم مقدار حبنا لكم ، وتتمنى أن يديم هذا الحب والصفاء ، ويزيد صلاتنا ويقويها ،

ـ (منصور) آمين يارب العالمين . ووالله أنا عندى أمل كبير جدا إن صلاتنا سوف تقوى وتزداد إن شاء الله .

ـ (لطفى) : ـ والله يامنصور مادامت القلوب صافية ، والنيات خالصة لازم تدوم الأخوة وتزداد الألفة .

ـ طبعا . . . وبهذه المناسبة ياسيد لطفى أنا لى رجاء كبير وعندى أمل أنكم لن تردو رجائى

ـ إتفضل ياسيد منصور . . أطلب ماتشاء .

ـ أنا أطلب يد الست جيهان للأستاذ عثمان . .

وانتظر السيد لطفى قليلا ثم قال: على أية حال ياسيد منصور الأستاذ عثمان شاب فاضل مهذب ومثقف وفيه كل صفات الخير . .

ـ (كريمة) والله انا اقدر الأستاذ عثمان واحبه كما احب ابنى ثروت .

ـ (لطفى) ارجو ياسيد منصور ان تترك لنا فرصة قليلة لأبلغك الرأى النهائى فى الموضوع .

ـ (منصور) ياسيد لطفى . كنت اتمنى ان اظفر بالموافقة بخير البر عاجله .

(لطفى) ـ إن شاء الله ستكون موافقة تامة ، ولـكن احب ان اعرف رأى جيهان فى الموضوع لأنها هى التى سوف تتزوج .

ـ (منصور) : متى نحظى بالموافقة ان شاء الله ؟

ـ (لطفى) بعد اسبوع تقريبا أبلغكم الرأى النهائى .

وبعد اسبوع تمت الموافقة ، ثم اعلنت خطبة الأستاذ عثمان لجيهان ، ثم طلب الأستاذ عثمان من السيد لطفى ان يعقد قرانه فى حفل يقام لذلك وطلب منه ان يحـــدد موعد ذلك الحفل ولـكن السيد لطفى أمهله قليـلا واخبره انه سوف يزوره فى منزله ومعه السيدة كريمة هانم، ونجله السيد ثروت فى مساء الخميس القادم بعد صلاة العشاء . .

وفى الموعد المحدد دخل السيد لطفى وزوجته ونجله ثروت دار منصور فأستقبلهم الأستاذ عثمان ووالداه احسن استقبال وحيوهم اجمل تحية .

ثم قال السيد لطفى :

ـ ياسيد منصور لى رجاء عندكم .

ـ إتفضل اطلب ما تشاء ياسيد لطفى .

اطلب يد سعدية بنتك لثروت ابنى .

والله هذا شرف عظيم لنا ، ولن اطلب مهلة ، بل انا موافق من الآن .

ـ (ست الدار) هذا يوم المنى ياسيد لطفى .

ـ(لطفى) وأنا أقترح أن يقام حفل عظيم يعقد فيه قران الأستاذ عثمان على جيهان ، وقران ثروت على سعدية،ولهذا السبب ياأستاذ عثمان طلبت منك الانتظار قليلا حينما طلبت منى التعجيل فى عقد قرانك

(عثمان) إنه سبب وجيه جداً ، ومناسبة عظيمة ، وفرحة كبرى أن يعقد فيها قران السيد ثروت وأنا كل منا على شقيقة صاحبه . .

. . . .

وأقيم الحفل وكان عظيما جدا ، وتم فيه عقد القران ، ورؤى تأجيل الزفاف بعض الوقت على أن تزف العروسان معا فى ليلة واحدة ويقام لذلك حفل عظيم أيضا .

وفرح أصدقاء الأستاذ عثمان بعقد قرانه فسارعوا بتهنئته ، وكذلك المنتفعون بالاصلاح الزراعى جميعا من رجال الضيعة التى كان يملكها لطفى الدلنجاوى .

وكان من الذين علموا بذلك السيد مدحت على وعرف أن جيهان سوف تزف إلى الأستاذ عثمان بعد مدة قليلة . .

جيهان التى احبها يوما ما أشد الحب وأعنفه ، ثم اعتدى على ذلك الحب فلطخه جيهان التى لعب منها دورين ومثل معها مسرحيتين ، وإن شئت فقل فصلين فى مسرحية شريرة آثمة . . . جيهان التى أخذ من أبيها الثمن فادحا غاليا . . . جيهان التى كانت زوجة له أياما معدودات ثم خرجت من عنده وقد ظن أنها لن تقوم من كبوتها ، ولن تنهض من عثرتها . . . جيهان هذه تزف بعد أيام إلى شاب عظيم كالأستاذ عثمان منصور ! ! كيف يحدث ذلك ؟

إنه لابد ان يعكر صفوها ، ويكدر عليها حياتها ، ويحول بينها وبين السعادة الزوجية وبخاصة مع شاب ناهض طموح كالأستاذ عثمان . . .

وهكذا ثارت فى مدحت نوازع الشر ، وتحركت فيه دوافع الفساد ، وانطلق خياله يبحث عن معول يهدم ذلك البيت ، ويحطم تلك الحلقة القوية التى ربطت بين عثمان وجيهان ، فأمسك قلمه وكتب إلى الأستاذ عثمان الرسالة التالية :

أخى الأستاذ عثمان منصور :

وددت لو استطعت أن أهنئك بعقد قرانك ، وتمنيت لوأن فى قرانك ما يستحق التهنئة لأكون أول المهنئين . واسمح لى يا أخى أن أعزيك بدلا من أن اهنئك فانك الآن أولى الناس بالعزاء ، وأحقهم بالرثاء . .

وإنى الآن اكاد ارى قسمات وجهك وقد تقطبت ، وأساريره وقد عبست ، واكاد ارى انا ملك وهى تهم الآن بتمزيق هذا الكتاب بعد انقرأت سطوره السابقة ولكن لاتتعجل ياسيد عثمان ، ودع وجهك مقطبا عابسا إن شئت . . ولكن لا تترك اناملك تمزق الكتاب بل اقرأه حتى نهايته وستجد آخر الأمر اننى مخلص لك كل الاخلاص حريص على سمعتك وشرفك كل الحرص ، واننى أود لك الخير ما استطعت إلى ذلك سبيلا . .

والكلمة التى أريدأن أهمس بها الآن فى أذنك بل أعلنها مدوية على رءوس الأشهاد هى ان جيهان « ساقطة » ولدى الدليل المادى على سقوطها وان شئت قدمته لك لتكون من الأمر على بينة . .

ورأيي يا أخي ان المرأة إذا اباحت عرضها مرة فقد تستمرئ تلك الاباحة وترى فيها شيئا غير قليل من متعة الحياة . . ويقيني انك لن تقبل مثل تلك المرأة زوجا لك فاذا قبلت فانك كما ذكرت اك أولى الناس بالعزاء ، وأحقهم بالرثاء .

المشفق عليك

مدحت عـــــلى

وتلقى الأستاذ عثمان الرسالة وقرأها ، وكاديمزقها اول الامر ، ولكنه وضعها فى سترته واستبدت به الهواجس والافكار ، جيهان ساقطة ، انا اولى الناس بالعزاء وياحقهم بالرثاء !! إذا اباحت المراة عرضها مرة مرة فقد تستمرىء تلك الا باحة ! ! إن كل كلمة من هذه الكلمات كافية بتحطيم حياتى وهدم كيانى !! ولن ترغمنى اى قوة على الزواج من امراة ساقطة لا . . لا . . لا . . . سأطلقها فورا ، سأعلن طلاقها على ملأ من الناس ، سألقى بها فى بوتقة العذاب الشديد . . ثم هدأت نفس الأستاذ عثمان قليلا ولكنه لم يفكر فى زيارة قصر السيد لطفى الدلجاوى ولم يعد يفكر فى رؤية جيهان . . بل انه لم يعد يطيق مجرد التفكير فى تلك الرؤية واحست جيهان بألم القطيعة ، وضاقت نفسها لأنها لم تعد تسعد بزيارة الأستاذ عثمان لها فى قصر أبيها ، وتوجست خيفة ، وخشيت حقيقة كانت تهرب دائما من التفكير فيها ، ولكنها صممت على ان تعرف سر هذه الجفوة التى لمستها من الأستاذ عثمان فتعمدت مقابلته وتقابلا ولكنه نفر منها نفورا شديدا فقالت له :

ـ يا أستاذ عثمان : ماعهدت منك الجفوة ، ولا عرفت فيك القسوة فما سر هجرك لى ؟

ـ إن الهجر هو اقل ما أرد به .

ـ ترد به على أى شيء ؟

ـ أرد به على ... على ..

ـ بربك اكمل

ـ لن اكمل شيئا ، وكل ما سيحدث أننا لا بد أن نفترق ..

ـ أريد أن أعرف سبب ذلك .

ـ سوف تعرفين فيما بعد . بل لا بد أنك تعرفينه .

وبعد فترة من الصمت قالت جيهان : ـ وكأنها قد عرفت ما يدور فى ذهن الأستاذ عثمان .

ـ يا أستاذ عثمان : قد تسمع الاذن كثيراً ، ولكن لا يصل الىالقلب مما تسمع إلا القليل ، وقد يظن المرء بغيره أمرا ، ولكن بعض الظن إثم ، وقد يخطىء فهم خبر من الاخبار فيبرم أمرا ثم يندم ـ يا أستاذ عثمان زن كل شيء بميزانه وظروفه وأسبابه ودواعيه ، وتبين كل خبر يأتيك وإن ثمرة شهية ناضجة فى يدك لجديرة بحرصك عليها ، وقد يكون من الخطأ أن تلقى بها لان حاقد اقال لك عنها انها لا تشتهى ، والشيء الذى لاشك فيه أننى أسعد دائما برؤياك ، وأتمنى دائما ان القاك فإلى اللقاء ، ثم استأذنت منه وانصرفت إلى قصر أبيها ، وذهب الأستاذ عثمان إلى دار أبيه ، ثم خلا إلى نفسه ، وقد أثرت كلمات جيهان فى نفسه ووصلت إلى أعماق

قلبه ، فأخذ يفكر فى رسالة مدحت مرة أخرى .. جيهان ساقطة . لتكن ساقطة كما ادعى ، فلم لا تكون سقطتها درساً بليغاً لها ، فهى لن تعود اليها مطلقاً ، ولم لا تكون قد تابت وأنابت وسلكت طريق النور والهداية مع السالكات فيه ... وهب أنها سقطت فلم تزوجها صاحب الرسالة مع علمه بسقوطها ؟ ! . إن زواجه منها يحمل الشك فى صدق هذه الرسالة .. والشيء الذى لا شك فيه أن سقوطها لو سلمت بوقوعه شيء مضى ولا شأن لى بإساءة امرأة فى ماض لم تربطنى بها فيه علاقة زوجيه ، وليس من حقى أن أحاسبها على شيء فيه ، ثم من ذا الذى يستطيع أن يجزم أن جميع الفتيات لا ماضى لهن ؟ .. إن الفتيات فى عنفوان شبابهن كالرياحين فى أروع نضارتها ، والناس يشتهون شم الرياحين ، ولكن بعض الرياحين تتأبى حتى على الشم ، وترفض أن تقترب منا أنف أو يمسها ثغر ، وبعض تلك الرياحين تقبل أن تشمها الأنوف أو تلمسها الايدى أو تمتص رحيقها الأفواه !! .

وعلى ذلك فلن أطلق جيهان بل سأظل زوجا لها ، سأعينها على أن تثق بنفسها كل الثقة وتطمئن لحياتها كل الاطمئنان ، سأطير بها على بساط السعادة ، وسأحملها على أكف الوداعة ، سأرسم معها صورة جميلة رائعة للحياة الزوجية الهانئة ، سأبنى معها جنة وارفة الظلال ، ناضرة الأزاهير ، لا لغو فيها ولا تأثيم ولا يمسنا فيها نصب ولا لغوب . . . .

وبعد أيام قليلة انطلق عثمان إلى قصر السيد لطفى الدلنجاوى يحمل هدية ثمينة لجيهان ولما علمت بحضوره إلى القصر أسرعت إليه فاستقبلها طلق المحيا ، باسم الثغر ، متفتح الأسارير تكاد كل جارحة من جوارحه تعلن عن سرورها بلقاء جيهان . ..

وأحست جيهان بذلك كله فملأت الفرحة قلبها ، وعم السرور نفسها ، وأقبلت على الأستاذ عثمان تبالغ فى تحيته والترحيب به ، وأحضر الخادم المشروب ، وهم بتقديم الكوب إلى الاستاذ عثمان ولكن جيهان أسرعت وحملت الكوب بيدها وقدمتها إليه . . .

وبعد قليل نزل الأستاذ لطفى الدلنجاوى والسيدة كريمة الى حجرة الاستقبال ليشتركوا مع جيهان فى تحية الضيف العزيز ، وبعد فترة يسيره قدم الأستاذ عثمان الهدية الى جيهان فقبلتها شاكرة ، ونظرت اليها معجبة ، وأثنت على الاستاذ عثمان ، وحسن اختياره ، وعظيم مجاملته . .

وقالت السيدة كريمة : لماذا كلفت نفسك ياأستاذ عثمان ؟ فرد عليها قائلا :

إننى لو استطعت أن أنظم النجوم عقدا وأقدمه هـــدية لها لفعلت مسرورا .

ـ (السيد لطفى) ياأستاذ عثمان . أشكر لك جميل صنعك ، وعظيم تقديرك لجيهان وانا لنرجو لكما حياة سعيدة موفقة بأذن الله .

ـ لى رجاء بل رغبة ملحة قوية أرجو تحقيقها .

إنه رجاء محقق ، ورغبة مستجابة .

ـ أرجو أن نتفق على موعد العرس على أن يكون زفاف السيد ثروت وأنا فى ليلة واحـــدة ...

والله إنها فكرة جميلة ، وأنا من جانبي أقرها ..

ــ (كريمة) لا شك أن ذلك اقتراح عظيم ، وإن شاء الله تقيم لكم فرحا شاملا يجتمع فيه جميع الأهل والأصدقاء من الجانبين ويحضره أهل الاصلاح الزراعى جميعاً وبخاصة هؤلاء الذين كانوا معنا فى الضعة .

ــ متى يكون ذلك ؟

ــ بعد شهرين .

ــ تعنى فى أعياد الثورة ؟

ــ هو ذاك .

ــ وأنا أقترح أن يكون عرسنا يوم ٢٣ يوليو ، عيد الثورة المباركة ليجتمع لنا عيدان : عيد ثورتنا المظفرة ، وعيد زواجنا الموفق إن شاء الله .

ــ جميل هذا الموعد .. وعلى بركة الله اتفقنا ..

ومضت الأيام سريعة ، وجاء يوم ٢٣ يوليو وزفت جيهان إلى الأستاذ عثمان وزفت سعدية إلى السيد ثروت وأقيم لذلك حفل عظيم شهده الاهــــل والأقارب والأصدقاء من الجانبين وحضره رجال الضيعة ، وحضره الشيخ عبد الصبور ، وجلس الأستاذ لطفى الدلنجاوى وعن يمينه السيد منصور وعن يساره الشيخ عبد الصبور ، وجلست السيدة كريمة وإلى جانبها السيدة ست الدار زوج السيد منصور تتقبل كل منهما التهنئة من نساء الضيعة ومن فتياتها ... وظلت النساء ترسل الزغاريد ويقدمن التهانى للعروسين والرجال تعــــلو ضحكاتهم حتى تمــلأ الفضاء ويقــــدمون التهانى للعريسين وللسيد لطفى والسيد منصور ، وضحك

الشيخ عبد الصبور ملء شدقيه وقد وجد سعدية تزف إلى السيد ثروت ، ونظر إلى جيهان ووجدها تزف إلى الأستاذ عثمان ووجد عن يمينه السيد لطفى الدلنجاوى وقد افسح له فى المجلس وجلسا متجاورين وقد ذابت بينهما الفوارق ثم صمت قليلا فسأله السيد لطفى :

- فيم تفكر ياشيخ عبد الصبور ؟

- أفكر فى فرحنا العظيم وفى البهجة التى شملتنا جميعا ، وأفكر فيك وقد اجلستنى بجانبك وكأننا اخوان ، واسمع صوت ذلك المزمار فأحس انه لحن جديد ونغم عذب ، واشهد لقد سمعت صوت المزمار كثيرا قبل اليوم وما انتشيت له كما انتشيت هذه الليلة ، وما طربت له ، وما هز جوانب نفسى كما طربت هذه الليلة وان هذا المطرب الشعبى نفسه كم سمعته من قبل ، وكأن صوته الليلة صوت داود أوسحر معبد ، وساءلت نفسى عن سر ذلك فعرفت انه شروق الفجر . انه شروق الفجر ياسيد لطفى .

- الأمر كما وصفت ياشيخ عبد الصبور انه شروق الفجر . فجر الثورة المباركة الذى بدد الظلام ، واضاء معالم الطريق ، وحقق الغايات والأهداف . . .

فجر الثورة الذى حنى على رءوس الشعب فرفعها ، وقضى على الفوارق واذابها اجل ياشيخ عبد الصبور .. انه شروق الفجر . . ثم نادى السيد لطفى على المطرب الشعبى قائلا له :

- من فضلك زدنا طربا بموال عن شروق الفجر . . واخذ المطرب يردد صوته العذب على انغام المزمار الشجية :

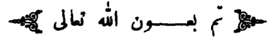
شروق الفجر نور على نور — طريقنا بان ونور الفجر ياحلاه
وقبل الفجر شفنا ظلام — وكانت ايام جرعنا الذل وشربناه
وكنا عبيد نبوس الايد — ونحنى الرأس ودمع العين كتير مجراه

اراد الله يمتعنا بعزتنا — وقام الشعب ويا الجيش بثورتنا
وراح الليل وجاه النور — ونور ساطع بفرحتنا
تعال وشوف من الابرة الى الصاروخ — بعزتنا صنعناها بنيناها بهمتنا

وطيارات بضعف الصوت صنعناها بقوتنا — تدك حصون اعادينا على رءوسهم بهمتنا
وكل يوم يشوف الناس جديد لينا يحيرهم — عروبتنا تسابق الغرب وتفوقهم
يا رب احفظ وبارك لينا ثورتنا — تحقق كل ما نرجوه لنهضتنا
شروق الفجر نور على نور — طريقنا بان ونور الفجر يا حلاه

* * *

وظل الجميع فى فرحهم الشامل حتى اختلط ضوء الفجر بأضواء المصابيح ثم انصرفوا إلى المصلى يؤدون الصلاة ويشكرون ربهم ويحمدونه على ان هيأ لهم تلك الحياة الجديدة السعيدة ، وحقق لهم ذلك المجد العظيم ، وقد انطبع فى نفوسهم شروق الفجر ...


تم بعون الله تعالى

استدراك

عزيزى القارىء الكريم ...

لقد مرت بك اثناء قراءة القصه بعض الأخطاء المطبعية واعتقد انها لم تغب عن فطنتك فمعذرة إليك ؟

المؤلف


Bibliotheca Alexandrina
03999124